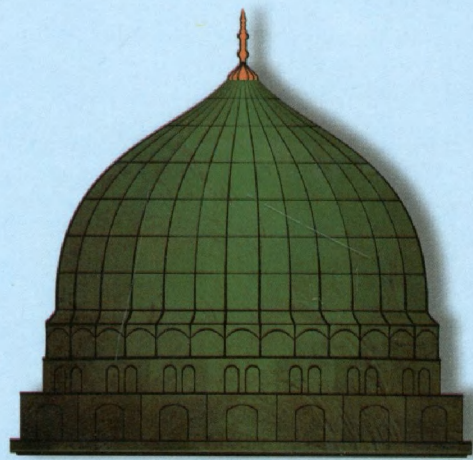


مكتبة لسان العرب  
www.lisanarb.com

# النحويون والحديث الشريف



الأستاذ الدكتور  
خليل بنيان الحسون

دار جرير  
للنشر والتوزيع





# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



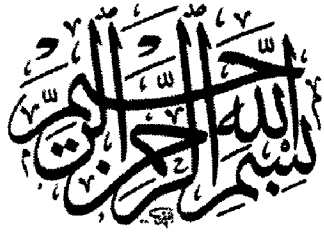
دار جرير  
للنشر والتوزيع



[www.darjareer.com](http://www.darjareer.com)



[www.darjareer.com](http://www.darjareer.com)



**النحويون والحديث الشريف**

النحويون والحديث الشريف

أد خليل بنبيان الحسون

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2015/3/963)

رقم التصنيف : 231

الوصافات: / الحديث الشريف // قواعد اللغة //

الطبعة الأولى 1436هـ - 2016م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

All rights reserved

دار جرير  
للنشر والتوزيع

عمّان - شارع الملك حسين - مقابل مجمع الفحيص التجاري  
هاتف: 4651650 - فاكس: 4643105 - 6 - 00962

ص.ب.: 367 عمّان 11118 الأردن

E-mail: dar\_jareer@hotmail.com

ردمك 978-9957-38-343-5 ISBN

---

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة لدار جرير للنشر والتوزيع عمان- الأردن  
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو  
تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو وضعه على مواقع  
الالكترونية أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

---

# النحويون والحديث الشريف

الأستاذ الدكتور  
خليل بنيان الحسون

الطبعة الأولى  
1436 هـ - 2016 م

دار جرير  
للنشر والتوزيع





مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

[lisanerab.com](http://lisanerab.com)

رابطہ بدیل

## الفهرس

٧.....	مقدمة
١٣.....	النحويون والاسشهاد بالحديث الشريف
٣٦.....	اسشهاد سيبويه بالحديث الشريف
٤٨.....	المروي بالمعنى ليس من الحديث الشريف
٥٣.....	الحديث الشريف... والخطأ
٥٨.....	الحديث الشريف في كتب غريب الحديث
٦٣.....	اسشهاد النحويين للحديث الشريف بكلام الله وبالشعر المعبر للاسشهاد
٦٥.....	ما اسشهد به أبو البقاء العكبري من القرآن للحديث الشريف
٧٩.....	ما اسشهد به أبو البقاء من الشعر للحديث الشريف
٨٨.....	ما اسشهد به ابن مالك من القرآن للحديث الشريف
٩٦.....	ما اسشهد به ابن مالك من الشعر للحديث الشريف
١١٠.....	أبو البقاء العكبري والحديث الشريف
١٣١.....	ابن مالك والحديث الشريف
١٤٣.....	ابن مالك يتقبل الخطأ في الرواية
١٥٦.....	ابن مالك يستدرك على النحويين من الحديث الشريف ما أخلوا به في النحو
١٧٣.....	اسشهاد أبي حيان والسيوطي بالحديث الشريف
١٧٩.....	الخاتمة
١٨٣.....	المصادر والمراجع





## المقدمة

لم يصرح أحد من النحويين الأوائل بما يفصح عن سبب قلة ميلهم إلى الاستشهاد بالحديث الشريف، وإنما تمّ عن ذلك قلة استشهادهم به قلة ظاهرة بالقياس إلى استشهادهم بالشعر.

ويبدو أن أوائل المصنفين من النحويين لم يجرؤوا على أن يفصحوا عن شكهم بأصالة ألفاظ الحديث، ولم يجرؤوا على القول إنهم وجدوا شواهد الشعر أوفق للاستشهاد بها، وهي أوثق لديهم منه، واكتفوا بأن قللوا شواهدهم من الحديث الشريف، وذلك ما عصمهم من لوم اللاتمين وإنكار المنكرين، إذ لم يجدوا فيه مغزاً يأخذونه عليهم، فهم قد استشهدوا به في هذا القليل الذي وجدوا فيه ما يعضد أحكامهم، ولا أحد يطالبهم بأن يكثروا من شواهدهم منه، فهم أعرف بما يتطلبه علمهم من الشواهد من الحديث وغيره.

ولكن المتأخرين منهم حينما صرحوا بالسبب الذي قلل ميلهم إلى التوسع في الاستشهاد بالحديث، وهو شكهم في أصالة ألفاظه، وأنّ الغالب منه مروى بالمعنى بألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين وجدوا من ينكر ما ادعوا، ويبطل ما احتجوا به.

ويبدو أن حذر النحويين من الاستشهاد بالحديث الشريف كان قبل تصنيف أي كتاب في النحو، بدليل قلة شواهدهم منه في المصنفات الأولى في النحو بالقياس إلى شواهدهم من الشعر، ولم يجر ذلك على ما صنف في اللغة، إذ استمر أصحاب المعجمات يدخلون في معجماتهم ما يتلقونه من معاصريهم من الحديث وغيره حتى مراحل متأخرة.

ولقد كان سببويه بارعاً في إخفاء معالم شواهد من الحديث الشريف البراعة التي جعلت عدداً من العلماء من القدامى والحديثيين يقيدون في مصنفاتهم أن سببويه لم

يستشهد بالحديث، ومنهم من قال إنك لا تجد في كتاب سيبويه شاهداً واحداً من الحديث، والذين قالوا ذلك هم من نظروا في كتاب سيبويه، وعرفوا ما فيه، على الرغم من أن سيبويه قد استشهد بالحديث فيما يربو على عشرة مواضع من كتابه، كما سنرى.

وإذا كان الحديث الشريف هو ما نطق به النبي ﷺ بألفاظه التي عبر بها عن دلالة ما يريد بيانه فإن ما نطق به غيره لا يمكن أن يكون من الحديث وإن أدى دلالة ما نطق به، ولهذا لا يمكن أن يعد المروي بالمعنى هو الحديث الشريف إذ ليس هو الكلام الذي نطق به رسول الله ﷺ، وإنما هو كلام الذي رواه بالمعنى.

ومعلوم أن الخطأ لا يؤبه به، وينبذ ولا يستحق الذكر، فما قولك إذا وجدته يقترب في كلام الأجل الأعظم في الأمة، ويعد من حديثه المروي بالمعنى وينسب إليه نسبه مباشرة، قال رسول الله ﷺ...؟!.

وإذا كان النحويون لم يجدوا ما يطمثون إلى صحته من الحديث الشريف إلا القليل النادر - كما يزعمون، فقد كان انصرافهم عن الكثير من الأحاديث الصحيحة التي اشتملت عليها كتب الصحاح وغيرها، وكتب غريب الحديث شبهة تزري بموقفهم في الامتناع عن التوسع في الاستشهاد به، مع توسعهم المطلق في الاستشهاد بالشعر، المعروف قائله، والمجهول قائله، مما لا فائدة ترجى من مضمون الكثير منه، خلافاً للحديث الشريف، الذي هو أوفق للاستشهاد به لما هو نثر، رديفاً للشاهد من القرآن، وفي الأحاديث على وفرتها الشاهد لكل ما يتمثل في كل أبواب النحو من الأحكام البارزة، غير الشاذة وغير النادرة.

وقد بلغ مجموع ما ألف من الكتب في غريب الحديث ما يربو على الخمسين كتاباً، ومنها ما تجاوزت أجزاءه العشرة أجزاء.

وقد وصف كتاب أحدهم، وهو محمد بن عبد السلام الخشني (ت ٢٨٦هـ) بأنه قد «نُف على العشرين جزءاً، شرح حديث النبي ﷺ في عشرة أجزاء، وحديث الصحابة في ستة أجزاء، والتابعين في خمسة أجزاء»<sup>(١)</sup>.

وهي كتب توفر على تأليفها علماء أمضى كل واحد منهم شطراً كبيراً من عمره في التحقيق والتدقيق ليجمعوا ما اشتمل عليه حديث نبيهم ﷺ من الغريب الأصيل في اللغة:

- ومن طلب غريب اللغة لا يطلبه إلا في الصحيح الفصيح منها.
  - والغريب لا تتضح دلالاته إلا في سياقه من الحديث.
  - وما يستشهد به من الحديث هو الجملة التي تشتمل على موضع الحكم منه.
- لكن أياً من هذه الكتب لم يدن منه النحويون بدليل أن ما اشتملت عليه كتب النحويين من الأحاديث معدود، وهي تتردد في الغالب فيما استشهدوا به في كتبهم.
- وعلى الرغم مما ادعاه النحويون بأن الغالب من الأحاديث مروى بالمعنى بالفاظ الأعاجم والمولدين لتسويغ موقفهم من الاستشهاد بالحديث فإنهم درجوا حين يتجهون إلى توجيه ما يلحقون من الأوجه في الحديث الشريف على الاستشهاد له بكلام الله تعالى وبالشعر المعتر لديهم للاستشهاد، مما يبطل حججهم في التهوين من شأن الحديث في مجال الاستشهاد بأنه مروى بالمعنى.

إن السيوطي القائل: «وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جداً، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً».

والقائل: «فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى، وقد تداولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عباراتهم».

(١) فهرست ما رواه عن شيوخه، ص ١٩٥.

نجده في كتابه «عقود الزبرجد» الذي أفرده لإعراب الحديث الشريف ينحو منحى أبي البقاء العكبري وابن مالك في كتابيهما «إعراب الحديث النبوي» و«شواهد التوضيح والتصحيح» في الاستشهاد للمشكل ولغير المشكل من الحديث بالقرآن وبالشعر المعبر لديهم للاستشهاد.

فكيف هو «مروي بالمعنى وقد تداولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم».

وقد كان موقف ابن مالك من الحديث موقفاً متميزاً، إذ لم يخطئ رواية لحديث مما تضمنه كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح» وإنما كان يعمد إلى التماس وجه لما تمثل في الحديث من الأوجه، حتى ما بعد وشد منها، وما ذلك إلا لثقتة بكل المروي منه.

ولأن الحديث عند ابن مالك هو «أفصح الكلام» و«كلام أفصح الفصحاء» فقد تكشفت له أمور كثيرة من أحكام اللغة، في الإعراب وفي دلالات الأسماء والأفعال وفي حروف المعاني واستعمالها في الحديث، فنبه على ما أخل به النحويون منها واستدركه عليهم.

وقد انفرد ابن مالك بهذا الموقف المتميز من الحديث الشريف، في حين إن رتبته لم تزل عند غيره من النحويين السابقين واللاحقين على شواهدهم الشعرية، ولا نستثني منهم غير ابن هشام.

فخلص من هذا كله إلى أن النحويين وحدهم، ودون غيرهم من المسلمين هم الذين اتخذوا موقف الحذر من الحديث الشريف، فقلت شواهدهم منه بالقياس إلى شواهدهم الأخرى من كلام العرب.

## **النحويون والامتنشهاد بالحدِيث الشرف**



## النحويون والاستشهاد بالحديث الشريف

### التمهيد:

ترسخ في علم النحويين أن الحديث النبوي الشريف ليس مما يحسن التوسع في الاستشهاد به على مسائل النحو، ولا يصح إقرار الأحكام الكلية اعتماداً عليه. وقد عبر أبو حيان النحوي عن ذلك في سياق إنكاره ما بدر من ابن مالك من التوسع في الاستشهاد بالحديث، إذ قال: «وقد أكثر هذا المصنف من الاستشهاد بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره»<sup>(١)</sup>.

فهو يراه بذلك مخالفاً لما استنته أسلافه من النحويين في هذا الشأن، وحجته أن «الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم، كنحاة بغداد وأهل الأندلس».

ويبلغ أبو حيان في عدله لابن مالك على ما أقدم عليه من التوسع في الاستشهاد بالحديث إلى حد التلميح بقصور ذكائه عن إدراك ما أدركه أسلافه حين أحجموا عن الاستشهاد بالحديث، إذ يقول: «وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء، فقال: إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ﷺ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية»<sup>(٢)</sup>.

(١) الاقتراح، ص ١٧.

(٢) الاقتراح، ص ١٧.



وهذا القول ينطوي على تعريض ظاهر بذكاء ابن مالك، فما وقع فيه من الخطأ في التوسع في الاستشهاد بالحديث سببه عند أبي حيان أنه لم يكن يمتلك من الذكاء ما يجعله يدرك أن الكلام الذي بين يديه، والذي تواضع الناس على تسميته بالحديث النبوي إنما هو ليس من كلام النبي ﷺ.

ويرجع أبو حيان لإحجام النحويين عن التوسع في الاستشهاد بالحديث لأمرين، قال في أحدهما: «وإنما كان ذلك لأمرين، أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه ﷺ لم تنقل بتلك الألفاظ جميعها، نحو ما روي من قوله: زوجتكها بما معك من القرآن، ملكتكها بما معك، أخذها بما معك، وغير ذلك من الألفاظ الواردة في هذه القصة، فنعلم يقيناً أنه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا نجزم أنه قال بعضها، إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ غيرها فأتت الرواة بالمرادف، ولم تأت بلفظه»<sup>(١)</sup>.

ولا ينهض مثل هذا حجة مقبولة لاستبعاد الحديث عن مجال الاستشهاد، وذلك أن اختلاف الألفاظ على نحو ما ذكر أبو حيان لا غضاضة فيه ولا إخلال، فهي عبارات ترقى لأن تكون من كلام النبي ﷺ، إذ إن تعدد حدوث المناسبة التي يقال فيها مثل ذلك، وهي الزواج يستدعي التعبير عنها بهذه العبارات: زوجتكها بما معك من القرآن، وملكتكها بما معك، وأخذها بما معك، وإلا فما الذي يمكن أن يقال غير هذه العبارات ليكون من حديث النبي ﷺ في مثل هذه المناسبة؟

ولسنا ندري من أين تأتي لأبي حيان اليقين الذي يجعله يستبعد صدور هذه الألفاظ عن النبي ﷺ أو أي منها، ثم إن استعمال المرادف لا يترتب عليه أي إخلال أو خطأ، إذا جاء موافقاً لمرادفه في موضعه، وليس في المترادفات ما هو صحيح وما هو خطأ إذا استعمل كل منها في دلالاته التي يؤديها.

(١) الاقتراح، ص ١٧.

هذا الموقف من الحديث النبوي يمتد لدى النحويين إلى مراحل متأخرة، إذ نجد السيوطي (ت ٩١١هـ) في سياق عرضه لمذهب أبي حيان المعارض لمذهب ابن مالك من التوسع في الاستشهاد بالحديث يقدم الدليل الذي يعضد ما ذهب إليه أبو حيان في هذا الشأن قائلاً: «وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جداً، وإنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً، فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى، وقد تداولها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عباراتهم»<sup>(١)</sup>.

يؤخذ من كلام السيوطي هذا أننا لا نملك من الحديث الشريف ما هو بلفظ النبي ﷺ إلا النادر القليل، فالغالب ليس منه وإنما هو بألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين. ورواية الحديث بالمعنى عند السيوطي ظاهرة ظهوراً بارزاً، فلا تحتاج إلى تدقيق أو تأن في النظر، إذ يقول: «ومن نظر في الحديث أدنى نظر عليم علم اليقين أنهم يروون بالمعنى»<sup>(٢)</sup>.

وهذا عند السيوطي بالعلم اليقيني بسبب الظهور البارز للرواية بالمعنى للحديث فما أن ينظر ناظر إلى كلام مذكور على أنه من الحديث الشريف إلا يتكشف له أنه ليس من كلام النبي ﷺ، وإنما هو مروي بالمعنى، يتضح له ذلك «بأدنى نظر» من النظرة العابرة.

وأبو حيان والسيوطي يراود كلاً منهما «علم يقيني» بأن الألفاظ التي ترد فيما هو معدود من الحديث الشريف إنما هي ليست ألفاظ الحديث في الأصل، وإنما هي ألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين.

(١) الاقتراح، ص ١٦.

(٢) الاقتراح، ص ١٧.

ومن أجل هذا ثارت ثائرة أبي حيان على ابن مالك لما اقترفه من التوسع بالاستشهاد بالحديث، وشايعه السيوطي بما تأتي له من العلم اليقيني فيما يتراءى له من الشك بأصالة ألفاظ الحديث.

لكن عالماً آخر يرى غير ما يريان، وبالعلم اليقيني أيضاً.

يقول إبراهيم بن محمد الصفاقسي «ت ٧٤٢هـ»: «وأما الأحاديث فالأصل نقلها بلفظها، وادعاء أنها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت إلا بدليل، ومن مارس الأحاديث ورأى تثبت الصحابة والآخذين عنهم ﷺ وتحريمهم في النقل، حتى إنهم إذا شكوا في لفظ أتوا بجميع الألفاظ المشكوك فيها، أو تركوا روايته بالكلية علم بعلم اليقين أنهم لا ينقلون الأحاديث إلا بألفاظها»<sup>(١)</sup>.

ويقول السيوطي في موضع آخر: «وقد بينت في كتاب أصول النحو من كلام ابن الضائع وأبي حيان أنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية، لأنه مروى بالمعنى، لا بلفظ الرسول، والأحاديث رواها العجم والمولدون»<sup>(٢)</sup>.

فالحديث كله دون تقييد أو استثناء بحسب عبارة السيوطي هذه مروى بالمعنى، لا بلفظ الرسول ﷺ وإنما بألفاظ الأعاجم والمولدين.

وقد فات السيوطي أن الكثير مما خالف القواعد النحوية هو مما أدخل به النحويون وغفلوا عنه من هذه القواعد، وقد استدرکها ابن مالك على النحويين كما سنرى.

هذا القدر المتدني من اعتبار النحويين لألفاظ الحديث والشك في أصالتها لا تجده عند غير النحويين، إذ هو عندهم في رتبة أدنى من شواهدهم الشعرية، وآية ذلك قلة شواهدهم منه في كل مصنفتهم بالقياس إلى شواهدهم من الشعر قلة ظاهرة، وقد كان

(١) غيث النفع للصفاقسي، ص ١٠١، عن كتاب «أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة» للدكتور أحمد مكي الأنصاري، ص ٢٠٩.

(٢) همع الهوامع: ١٠٥/١.

الأجدر أن يكون الحديث هو الأولى والمقدم بعد القرآن، لأنه نثر، وما يستشهد له أحكام لغوية في النثر.

ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن موضع الخلاف بين أبي حيان وابن مالك مرده أن ابن مالك لا يملك دليلاً على أن ما نسميه بالأحاديث النبوية ليس من كلامه ﷺ، فكل كلامه ينسب إليه في كل المظان مستهلاً بالقول: قال رسول الله ﷺ أو قال النبي ﷺ، وليس من الأمانة مع النبي أن ينسب إليه ما ليس من كلامه حقاً، وما لم ينطق به، وليس من صحة الإيمان أن ينسب إلى النبي ﷺ كلام لم يقله وإن أدى المعنى الذي أراده.

وفضلاً عن هذا فإن ابن مالك لم يجد في الأحاديث النبوية من الدلائل ما يحمله على عده من كلام الرواة الأعاجم والمولدين أو من آثار كلامهم فيه وهو باللفظ العربي الفصيح. أما ما ظهر في طائفة منه من الخطأ في الإعراب أو في التراكيب فإن ذلك دليل قاطع على أنه ليس من الحديث في الأصل، إذ لا يمكن بحال أن يكون الكلام خطأ ويكون منسوباً إلى النبي ﷺ، ولا دليل على أن ما صح في إعرابه واستوى في أسلوبه، ولم يبد فيه ما يحول دون نسبته إليه ﷺ على أنه ليس من كلامه.

ولهذا كله فإن الأحاديث النبوية عند ابن مالك هي كلام النبي ﷺ حقاً وصدقاً، وهي الكلام الفصيح، إذ يقول: «ومن حذف الهمزة في الكلام الفصيح قوله ﷺ: يا أبا ذر عيرته بأمه؟»<sup>(١)</sup>.

وهي الكلام الأفصح، إذ يقول: «وبالأفصح جاء قوله ﷺ: «هن هن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن». ولو جاء بغير الأفصح لكان «هي.. ولمن أتى عليها من غير أهلها، وبالأفصح أيضاً جاء القرآن، اعني قوله تعالى: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَمُوا فَلَا تُحْسِنُوا وَفِيكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٤٧.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣١.

فالحديث النبوي وكلام الله تعالى في رتبة واحدة، وهي أنهما الكلام الأفصح عند ابن مالك.

وهو أفصح الكلام، إذ قال في مجيء لام القسم في جواب القسم غير الصريح: «ومن النحويين من يزعم أن هذا الاستعمال مخصوص بالشعر، ويستشهد بقول امرئ القيس:

حلفت لها بالله حلقة فاجر      لنا ما من حديث ولا

والصحيح جواز استعماله في أفصح الكلام، وشاهده قول سعيد بن زيد رضي الله عنه: «أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً...»<sup>(١)</sup>.

والحديث النبوي الشريف عند ابن مالك هو كلام أفصح الفصحاء، إذ ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من يقيم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن أبا بكر رجل أسيف متى يقيم مقامك رق». ثم قال: «تضمن هذان الحديثان وقوع الشرط مضارعاً والجواب ماضياً لفظاً لا معنى، والنحويون يستضعفون ذلك ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، والصحيح الحكم بجوازه مطلقاً لثبوتها في كلام أفصح الفصحاء»<sup>(٢)</sup>.

والحديث النبوي عند ابن مالك هو أفصح الكلام المنشور، إذ قال: «وأما مخالفة السماع فمن قبل أن الاتصال ثابت في أفصح الكلام المنشور قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه، إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لا يكنه فلا خير لك في قتله»<sup>(٣)</sup>.

وقال في حذف لام الجواب بعد لو: «قلت يظن بعض النحويين أن لام لو في نحو «لو فعلت لفعلت لازمة، والصحيح جواز حذفها في أفصح الكلام المنشور، كقوله

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢ وص ٢٢٤.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٦٧.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٧٩.

تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ وكقوله تعالى: ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾  
ومنه قول رجل لرسول الله ﷺ: «... وأظن لو تكلمت تصدقت...»<sup>(١)</sup>.

والحديث الشريف عند ابن مالك هو: أحسن ما يستدل به إذ قال بشأن حذف  
الموصول المستغنى بصلته: «وأحسن ما يستدل به على هذا الحكم قوله ﷺ: «مثل  
المهجر كالذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة» فإن  
فيه حذف الموصول وأكثر الصلة ثلاث مرات؛ لأن التقدير: ثم كالذي يهدي كبشاً، ثم  
كالذي يهدي دجاجة، ثم كالذي يهدي بيضة»<sup>(٢)</sup>.

ولا يراود ابن مالك شك في الأحاديث المثبتة في مظان الحديث الصحيحة المعتمدة،  
فهي عنده من النقل الصحيح، إذ يقول في سياق توجيهه لما جاء في أحد الأحاديث  
«... فإذا انضم إلى هذا التعليل استعمال فصيح، ونقل صحيح كما في الأحاديث  
المذكورة تأكد الدليل، ولم يوجد لمخالفته سبيل»<sup>(٣)</sup>.

من هذا كله يتضح موضع الاختلاف بين ذكاء ابن مالك وذكاء صاحب أبي  
حيان الذي هو: «بعض المتأخرين الأذكياء» المجهول اسماً والمجهول علماً.

وليس بمستبعد أن يكون «بعض المتأخرين الأذكياء» هذا هو أبو حيان نفسه، إذ لم  
يزد ما قاله على ما قاله أبو حيان، وإلا فما الذي يمنع أبا حيان من التصريح باسمه في  
سياق ما يريد من التهوين من صنيع ابن مالك في التوسع بالاستشهاد بالحديث، مادام  
هو من الأذكياء، الذين لم يبلغ مبلغ ذكائهم ابن مالك.

وثمة احتمالان، فهذا الذكي إما أن يكون بمنزلة ابن مالك في العلم أو أنه أعلم منه.  
فإذا كان بمنزلة العلمية أو أعلم منه فإن في التعريف به بذكر اسمه ما يعضد حجة  
أبي حيان في ابن مالك ويقويها، وليس ثمة إذن سبب مقنع لحجب اسمه.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٣٤.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٤.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٦٠.

وقد قال أبو حيان مقولته هذه في ابن مالك في زمن لم يكن فيه أحد يرقى رقى ابن مالك في العلم.

ومن هو بمنزلة ابن مالك لا يرد موقفه من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف بمن هو مجهول الاسم ومجهول العلم.

لقد كان من أظهر الحجج التي تمسك بها مانعو الاستشهاد بالحديث هو وقوعهم على طائفة من الأحاديث رأوا فيها ما يخالف الأقيسة التي استخلصوا منها أحكام نحوهم، وهي حجة يمكن ردها وإبطالها اعتماداً على النظر في الأحاديث التي بدت لهم فيها هذه الشبهة؛ إذ من المعروف أن الغالب في الأحاديث أنها لا تأتي من طريق واحد، وإنما ترد من طرق متعددة، وهي لا تأتي بطرقها المتعددة على صورة واحدة، حيث نجد أن طائفة كبيرة من الأحاديث التي تروى وفيها ما يخالف القياس ترد من طرق أخرى موافقة له، والأمثلة كثيرة.

منها حديث سلمة بن وقش الذي يرويه أبو البقاء عن جامع المسانيد لابن الجوزي «ولا يرون أن بعثنا كائناً بعد الموت»<sup>(١)</sup>.

والحديث في مسند ابن حنبل وفي رواية سلمة بن وقش «لا يرون أن بعثنا كائن»<sup>(٢)</sup>.

وثمة حديث آخر يورده أبو البقاء عن سلمة بن الأكوع على هذه الصورة: «... إلى شعب فيه ماء يقال له ذا قرد»<sup>(٣)</sup> وهو في مسند ابن حنبل أيضاً ورواية سلمة بن الأكوع «... يقال له ذو قرد»<sup>(٤)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٩٨.

(٢) مسند ابن حنبل: ٤٦٧/٣.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٩٩.

(٤) مسند ابن حنبل: ٥٣/٤.

ومما عد من الأحاديث المشككة قوله ﷺ: «إني سائلكم عن شيئين فهل أنتم صادقون»<sup>(١)</sup>.

وقد أخرجه البخاري هكذا، إلا أنه يرد في موضع آخر منه «فهل أنتم صادقي»<sup>(٢)</sup>.  
وحديث سلمة بن نفيل الذي أورده أبو البقاء هكذا «ولستم لابثون بعدي إلا قليلاً»<sup>(٣)</sup>.

وهو يرد في رواية سلمة بن نفيل في مسند ابن حنبل موافقاً للقياس «ولستم لابثين بعدي»<sup>(٤)</sup>.

ومما تعرض له ابن مالك في كتابه في شواهد التوضيح «الحديث فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً»<sup>(٥)</sup>.  
والحديث في صحيح البخاري: «... يتوقد تحته نار»<sup>(٦)</sup>.

وعلى هذا النحو من اختلاف الرواية، الحديث المروي عن النواس بن سمعان الكلابي «قلنا يا رسول الله ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعين يوماً»<sup>(٧)</sup>.

وقد ورد هذا الحديث على الصورة الموافقة للقياس وعن النواس بن سمعان في سنن ابن ماجه<sup>(٨)</sup>، وسنن أبي داود<sup>(٩)</sup> «قال أربعون يوماً».

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٧٨.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٢٩٥.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ١٠٠.

(٤) مسند ابن حنبل: ٤/١٠٤.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٣.

(٦) صحيح البخاري: ١/٣٢٨.

(٧) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩١.

(٨) سنن ابن ماجه: ٢/١٣٥٧.

(٩) سنن أبي داود: ٢/٤٣١.



والأمثلة كثيرة على هذا النحو مما يأتي برواية مخالفة للقياس، ويرد في كتب الحديث الأصول برواية أخرى أو روايات موافقة للقياس، والأمثل في هذا الشأن الأخذ بالرواية الموافقة للقياس، أو التي يتمثل فيها وجه يمكن التماس التأويل له، وإهمال ما شابه الخطأ الظاهر الذي لا سبيل إلى توجيهه، إذ ليس هو الحديث بما اشتمل عليه من الخطأ، فلا خطأ في الحديث في أصل روايته.

وإننا لنجد تضافر عدة روايات على الصورة الصحيحة للحديث في مقابل الصورة المخالفة لأصل روايته، ولا نكاد نجد إجماعاً على الصورة المخالفة للقياس إلا قليلاً، بل نادراً، وكتب الحديث زاخرة بأمثال ذلك.

فقد أورد ابن حنبل الحديث «ولقد اصططح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة»<sup>(١)</sup>، عن أسامة، غير أن البخاري يعرض هذا الحديث في ثلاثة مواضع يرد فيها كلها على هذه الصورة «... أن يتوجوه فيعصبوه»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البخاري قول رسول الله ﷺ: «لا يتحرى أحدكم فيصلبي عند طلوع الشمس ولا عند غروبها»<sup>(٣)</sup> بسند ابن عمر.

وتعرض السهيلي لهذا الحديث في أماليه<sup>(٤)</sup> فحمله على الخبر غير أننا وجدنا هذا الحديث يرد في ست مظان وعن ابن عمر من صحيح البخاري وابن حنبل جاء فيها كلها موافقاً للقياس: لا يتحر أحدكم<sup>(٥)</sup>.

ويعرض السهيلي حديثاً آخر، وهو قوله ﷺ: أن الله تسعة وتسعين اسم، بخفض التمييز، يقول في توجيهه: «وأما تسعة وتسعون اسم بخفض اسم فيخرج لأن قوماً من

(١) ابن حنبل، ج ٥، ص ٢٠٣.

(٢) صحيح البخاري: ٣/٢٢٠ و ٤٦/٤٦ و ص ١٦٠.

(٣) صحيح البخاري، ص ١٥٥.

(٤) أمالي السهيلي، ص ٧٤.

(٥) صحيح البخاري: ١/١٥٤، ابن حنبل: ١٣/٢ و ص ١٩ و ص ٣٩ و ص ٦٣ و ج ٦/٢٥٥.

العرب يجعلون الإعراب في النون يلزمون الجمع الياء، فيقولون: كم سنيناً؟ وعرفت سنيناً ولا يفعلون هذا مع الواو...».

ثم يقول: «فإذا قلت على هذا تسعين اسم فعلامة النصب فتحة النون وانحذف للإضافة التنوين من تسعيناً»<sup>(١)</sup>.

والحديث يرد في عدة مواضع «تسعة وتسعين اسماً»<sup>(٢)</sup>، ولم أجد الرواية التي أثبتها السهيلي.

والحديث المروي عن أبي هريرة «ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصيني فقد عصى الله»<sup>(٣)</sup>.

هذا الحديث يرد في عشرة مواضع في مسند ابن حنبل وصحيح البخاري وسنن ابن ماجه، وعن أبي هريرة «... من عصاني فقد عصى الله»<sup>(٤)</sup>.

وجاء في صحيح البخاري ومسلم قول النبي ﷺ من أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا»<sup>(٥)</sup>.

والحديث يرد في مواضع أخرى من هذين الصحيحين، وفي مسند ابن حنبل، وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه بروايات أربت على العشر، يأتي فيها الجواب على هذا النحو: «... فلا يقربن مساجدنا»<sup>(٦)</sup> و«... فلا يأتين المساجد»<sup>(٧)</sup> و«فلا يقربنا»<sup>(٨)</sup>.

(١) أمالي السهيلي: ٦٥-٦٦.

(٢) ابن حنبل، ج٢، ص ٢٩٧ والبخاري، ج٢، ص ١٨٤، وص ٤، ص ٤٥، ومسلم، ج٨، ص ٦٣.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٦.

(٤) مسند ابن حنبل: ٢/٢٥٣ وص ٢٧ وص ٣٨٦ وص ٤١٦ وص ٤٦٧ وص ٤٧١ وص ٥١١ والبخاري: ٢/٢٣٨ و ٤/٣٨٤، وابن ماجه: ٤/١.

(٥) البخاري: ١/٢١٩ ومسلم: ٢/٨٠.

(٦) صحيح البخاري: ١/٢١٩ وصحيح مسلم: ٢/٧٩ وص ٨٠ وسنن أبي داود: ٢/٣٢٤.

(٧) مسند ابن حنبل: ٢/٢١٣ وصحيح مسلم: ٢/٧٩ وابن ماجه: ١/٣٢٥.

(٨) صحيح البخاري: ٢/٢١٩ وصحيح مسلم: ٢/٨٠٧ وسنن أبي داود: ٢/٣٥٤.

ومن شأن النحويين مع الحديث أنه إذا اختلفت الروايات في بعض منه، وكان منها ما لا يوافق ما يذهبون إليه وما يقررون فإنهم لا يأخذون به، ولا يلتفتون إليه، وإنما يمشون على ما أثبتوا وما قرروا غير أبهين بما يتمثل في الحديث.

فإن مما يستدل به على ذكر الخبر بعد «لولا» إذا تقيد يكون خاص قوله ﷺ: «لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بايين...».

يقول السيوطي في سياق كلامه على وجوب حذف الخبر بعد «لولا» «ووجب الحذف لسد الجواب وحلوله محله، ثم أطلق الجمهور وجوب الحذف، ولحنوا المعري في قوله: «ولولا الغمد يمسه لسالا».

يقول السيوطي هذا مع ذكره الحديث: «لولا قومك حديثو عهد...».

ثم يقول: «قلت والظاهر أن الحديث حرفته الرواة بدليل أن بعض رواياته «لولا حدثان قومك» وهذا جار على القاعدة»<sup>(١)</sup>.

فالجاري على ما قرروا وثبت لديهم من حديث النبي ﷺ مأخوذ به ومسلم بصحته، أما ما خالفه فهو من تحريف الرواة وإن كان يمثل وجهاً من أوجه التعبير، ولا ينطوي على لحن أو خطأ.

ولنا أن نقول للسيوطي:

• إنهما روايتان للحديث، ولولا قومك حديثو عهد بكفر، «ولولا حدثان قومك بكفر».

• وكتاهما تنسب إلى النبي ﷺ.

• ورواهما ثقات عدول والروايتان مثبتتان في مسند ابن حنبل وصحيح البخاري.

فما الذي يجعل إحدى الروايتين مقبولة مأخوذاً بها، والأخرى التي لا توافق ما يقررون غير مقبولة ولا يلتفت إليها، ولا يؤبه بها؟ ولا دليل يرجح إحداها على الأخرى.

(١) مع الهوامع : ١٠٤/١ - ١٠٥ .

والرواية «لولا قومك حديثو عهد...» تعضدها رواية أخرى، وهي «لولا أن قومك حديث عهدهم...»، فقد دخلت «أن» على ما أصله مبتدأ وخبر للتوكيد، وهذه الرواية مثبتة في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم في أربعة مواضع<sup>(١)</sup>.

فأي إخلال أو ضمير في نحو قولنا: «لولا زيد رجل فاضل ما رافقه»، وقولنا: لولا أن زيدا رجل فاضل ما رافقه، وقولنا: لولا أنك أخي ما فزعت إليك في هذا الشأن. والسيوطي يرى: «أنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية لأنه مروى بالمعنى لا يلفظ الرسول، والأحاديث رواها العجم والمولدون لا من يحسن العربية، فأدوها على قدر ألسنتهم»<sup>(٢)</sup>.

فالحديث كله لا يستدل به على القواعد النحوية، لأنه كله مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول ﷺ، فهو لم يقيد ما قال بقيد، ولم يستثن من الحديث ما يجوز أن يؤخذ به. وبوسعنا أن نستخلص من كل ما تقدم عن الحديث وموقف النحويين منه ما يأتي:

- ١- إن الرواية المخالفة لقياس اللغة لا تعدم رواية أخرى موافقة له، وفي مواضع كثيرة تكون الرواية الأسلم أكثر تواتراً في صورة متنها.
- ٢- إن ما في الأحاديث المشككة من إشكال له مثل في الغالب لما ورد في الشعر، وليس من المتعذر على النحويين أن يجدوا له وجهاً يجريه، ولا يصعب عليهم ذلك إن أرادوا بحججهم المعروفة أو بما يتخذونه من ضروب التأويل القريبة والبعيدة. وإن كونه من الحديث الشريف يلزمهم ذلك إن وثقوا بروايته وبالمظان التي تثبته.

ولو فعلوا ذلك لما أوقعوا أنفسهم في معرة التهوين من شأن الحديث النبوي

(١) صحيح البخاري: ٤٥/١ وص ٤٠١، وصحيح مسلم: ٩٨/٤، وص ٩٩.

(٢) همع الهوامع: ١٠٥/١.

الشريف في مجال الاستشهاد به في النحو حين أقدموا على ترجيح الشعر عليه، والثقة به دونه.

إن ما يستشهد به من الحديث وغيره يرد في عبارات قصيرة، هي الجمل التي تشتمل على موضع الاستشهاد، والعبارات القصيرة في الحديث الشريف مما سمي بجوامع الكلم كثيرة، وهي لقصرها يرد كل منها على صورة واحدة في معظم الروايات وفي أكثر المصادر، مما يجعلها من أوثق الشواهد، لأنها نثر ولأنها حديث شريف، تبعد العناية به احتمال الشك فيه، وهو أولى للاستشهاد به للنثر.

٣- إن المخالفة التي لا يمكن توجيهها في الحديث الشريف قليلة جداً في المظان المعتمدة من الصحاح وغيرها، بل نادرة بالقياس إلى الكثير الكثير الموافق لقياس اللغة، ولا يمكن أن يزري هذا المخالف القليل بالحديث، أو يتخذ حجة لإبعاده كله عن مجال الاستشهاد.

٤- إذا ورد في الحديث من الروايات ما اشتمل على شذوذ لا يجري على القياس فإن الشواهد الشعرية لم تخل مما شذ وخالف ما استقر لدى النحويين من الأحكام، وإن من ذلك ما يقع بسبب إلقاء الضرورة.

والغريب أننا نجد النحويين عموماً يقفون إزاء ما شذ من شواهد الشعر لتوجيهه أو لبيان ما فيه من مخالفة القياس، بيد إنهم لا يتلفتون إلى ما جاء في الحديث وإن كان ما فيه مشاكلاً لما هو وارد في الشواهد الشعرية، مع أن الدواعي إلى النظر في ذلك في الحديث أرجح من دواعي النظر في الشعر إذ لا ضرورة في الحديث.

فإننا نجد النحويين يقلبون النظر في قول الشاعر:

إذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضأها ولا تملق<sup>(١)</sup>

(١) الشجري، ج ١ ص ٨٦.

وقول الآخر:

وتضحك مني شيخة عيشمية      كان لم ترى قبلي أسيراً يمانياً<sup>(١)</sup>

وقول الآخر:

ألم يأتيك والأنباء تنمى      بما لاقت لبون بني زياد<sup>(٢)</sup>

وقول الآخر:

هجوت زيان ثم جئت معتذراً      من هجو زيان لم تهجو ولم

ومثل هذا الضرب من إشباع الحركة في المعتل المجزوم وارد في الحديث.  
منه قوله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك  
يجزئه»<sup>(٤)</sup>.

ومثله قوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لا تراه فإنه يراك»<sup>(٥)</sup>.  
والحديث «متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد الوادي تخلفوا معك»<sup>(٦)</sup>.  
ومثله أيضاً الحديث «لا يتحرى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس، ولا عند  
غروبها»<sup>(٧)</sup>.

والحديث «لا يتعاطى أحدكم أسير أخيه فيقتله»<sup>(٨)</sup>.

(١) المفضليات، ص ١٥٨.

(٢) الإيضاح في علل النحو، ص ١٠٤.

(٣) معاني القرآن، ج ١ ص ١٦٢.

(٤) الموطأ، ج ٢ ص ٥٣، وابن حنبل، ج ١ ص ٤٣١، وج ٢ ص ٩ وص ١٢٦، والترمذي، ج ٥ ص ١٢٨.

(٥) ابن جنبل، ج ٢ ص ٤٢٦ وج ٤ ص ١٢٩، وابن ماجه، ج ١ ص ٢٤ وص ٢٥.

(٦) البخاري ج ٣ ص ٥٣.

(٧) البخاري ج ١ ص ١٥٥.

(٨) ابن حنبل ج ٣ ص ٥٢.

والنحويون يسوقون هذا الشاهد:

تراه كالثغام يعمل مسكاً يسوء الفاليات إذا فليني<sup>(١)</sup>

مثلاً على حذف النون من الفعل المرفوع وحذف النون فيه للضرورة.

وإننا لنجد في الحديث الشريف طائفة من الأحاديث يرد فيها ما تمثل في الشاهد منها قوله ﷺ «أصبح عندكم شيء تطعموني؟»<sup>(٢)</sup>.

والحديث «وظننت أن القوم سيفقدوني»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث عقبة بن عامر «إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا»<sup>(٤)</sup>.

وفيه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني»<sup>(٥)</sup>.

وفي حديث آخر «إنهم كانوا عباداً يعبدوني»<sup>(٦)</sup>.

وفي حديث رجل من وفد عبد القيس «قال كيف رأيت كرامة إخوانكم لكم وضيافتهم إياكم؟ قالوا خير إخوان ألانوا فرشنا... ثم قالوا: «وأصبحوا يعلمونا كتاب الله»<sup>(٧)</sup>.

وحديث آخر، وهو قوله ﷺ: «اللهم إن أناساً يتبعوني وإني لا يعجبني أن يتبعوني»<sup>(٨)</sup>.

(١) الكتاب جـ ٣ ص ٥٢ .

(٢) ابن حنبل، ج ٦ ص ٤٩ .

(٣) ابن حنبل، ج ٦ ص ١٩٥ والبخاري، ج ٣ ص ٢٩٣ .

(٤) ابن حنبل، ج ٢ ص ١٠٢ والبخاري، ج ٤ ص ١٤٩ .

(٥) ابن حنبل، ج ٢ ص ٤١٢ ومسلم، ج ٨ ص ٨ .

(٦) ابن حنبل، ج ٢ ص ١٦٨ .

(٧) ابن حنبل، ج ٣ ص ٤٣٢، وج ٤ ص ٢٩ .

(٨) ابن حنبل، ج ٥ ص ١٩٤ .

وإذا أراد النحويون أن يقفوا على إشباع كسرة تاء المخاطبة حتى تصير ياءً فهم لا يملكون دليلاً على ذلك غير الشاهد الذي رواه أبو علي الفارسي غير معزو لقائل:

### رमितه فأقصدت فما أخطأت الرمية<sup>(١)</sup>

ولم يوردوا لهذه الكسرة الممتدة شاهداً ثانياً، وفي الحديث نحو عشرين مثلاً لهذه الصورة، منها الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري «... وأتت رسول الله ﷺ فقال: «أعصرتيه؟ قالت: نعم. قال: لو تركتبه ما زال ذلك مقيماً»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «لو راجعتيه فإنه أبو ولدك»<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ: «أرضعيه، فإذا أرضعتيه فقد حرم عليك»<sup>(٤)</sup>.

وقوله: «... كيف رأيتها يا عائشة»<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أنها لغة، ففي كتاب سيبويه «وحدثني الخليل أن أناساً يقولون: ضربتبه فيلحقون الياء، وهذه قليلة»<sup>(٦)</sup>.

وقد غدت كثيرة الآن، إذ عليها الأمة في أيامنا هذه من المحيط إلى الخليج.

ولا ريب أن ما في الحديث أدخل في الاستشهاد لمثل ذلك كله مما في الشواهد الشعرية إذ لا ضرورة فيه. ولقد كان الأمر أسلم لو أيد ما في الشاهد الشعري بما جاء في الحديث، إذ إن اجتماع عدة أحاديث على ما في الشاهد يؤدي إلى تأييد ما في الشاهد ويدفع إلى النظر في المسألة بعيداً عن تصور أثر الضرورة.

(١) شرح الرضي، ج ٢ ص ١٢.

(٢) ابن حنبل ج ٣ ص ٣٤٠.

(٣) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٧١.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦١.

(٥) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٩٠.

(٦) الكتاب، ج ٤ ص ٢٠٠.



ولعل من الغريب في هذا الشأن أن نذكر أننا وجدنا في أحاديث النبي ﷺ ثلاثة أحاديث تؤيد وجهاً معروفاً في النحو، وهي قوله ﷺ لأبي ذر ﷺ: «كيف أنت وجوعاً يصيب الناس».

وقوله: «كيف أنت وقتلاً يصيب الناس».

وقوله: «كيف أنت وموتاً يصيب الناس»<sup>(١)</sup>.

ومع أن هذه الأحاديث تقف متساندة في صورتها هذه مؤيدة لهذا الوجه، إلا أنك لا تجد سبباً مقنعاً يبين لك لماذا يشيخ النحويون بوجههم عنها، ليرددوا في هذا الموضوع قول قائل من الناس: «كيف أنت وقصعة من ثريد»؟!.

وثمة حديث رابع يجري في هذا النسق، إلا أنه يرد بروايتين، وهو قوله ﷺ: «كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء»<sup>(٢)</sup>.

إذ يرد بنصب «أئمة» ويرفعها، ولكل منهما وجه، وقد استشهد به ابن مالك في كتابه عمدة الحفاظ<sup>(٣)</sup>.

٥- إن افتراض تصرف الرواة في لفظ الحديث وصياغته، وأن فيه ما هو مروى بالمعنى وليس بلفظ النبي ﷺ ولفظ صحابته ﷺ ينبغي أن يقابله - إنصافاً - افتراض عدم تصرفهم به، إذ لا دليل على ذلك مع صحة الحديث وموافقته لأحكام اللغة. وقد كان هذا مذهب ابن مالك - رحمه الله -.

ولهذا فإن استبعاد الحديث كله عن مجال الاستشهاد للظن بتصرف الرواة فيه مع صحته وسلامته تراكيبه يبقى أمراً فيه الكثير من التجني على الحديث.

٦- إذا كان الرواة يختلفون في رواية الحديث الواحد، وإذا كانت عدة طرق من الرواية تلتقي في صورة واحدة، وإذا كانت هذه الصورة المجمع عليها تؤيد وجهاً من

(١) سنن ابن ماجه، ج٢ ص ١٣٠٨.

(٢) ابن حنبل، ج٥ ص ١٨٠.

(٣) عمدة الحفاظ وعدة اللافظ، ص ٤٠٤.

الوجوه، أو تعين على إقرار حكم، فإن الإعراض عنها ينطوي على إهدار جانب مهم من أوثق الشواهد من الحديث مراعاة للقليل منه مما يتراءى للنحويين أنه لا يصلح للاستشهاد به.

٧- إذا كان الرواة يختلفون في رواية الحديث، بحيث تتردد بين ما يدخله في مجال الاستشهاد لمسألة من المسائل وما يخرج منه، فإن ذلك يجري على كثير من الشواهد الشعرية، إذ تعرض لنا كتب الأدب واللغة روايات للشاهد تخرجه عما أريد له.

من ذلك قول الشاعر:

**إذا عاش الفتى متيناً عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاء<sup>(١)</sup>**

والشاهد فيه إثبات النون في متين ونصب عاماً، لكننا نجد في مقابل هذه الرواية رواية أخرى تتصل بموضع الاستشهاد منه، إذ يرد فيها «سبعين عاماً»<sup>(٢)</sup> موضع متين عاماً.

والشاهد:

**فمن يك أمسى في المدينة فلاني وقيار بها لغريب<sup>(٣)</sup>**

وهو مما يحتج به الذين يميزون العطف على محل اسم إن قبل تمام الخبر. وقد روي بنصب (قيار) في مظان كثيرة<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا القبيل قول الشاعر:

(١) مجالس ثعلب، ص ٢٧٥.

(٢) العقد الفريد، ج ٣ ص ٥٥.

(٣) مجاز القرآن، ج ١ ص ١٧٢.

(٤) معاني القرآن، ج ١ ص ٣١١، نوادر أبي زيد، ص ٢٠، الكامل للمبرد، ج ١ ص ٣٢٠، الشعر والشعراء، ط ١، طبقات فحول الشعراء، ص ١٤٤.

مشائم ليسوا بمصلحين ولا ناعب إلا بين غرابها<sup>(١)</sup>

إذ يستدل به لتقوية الحمل على المعنى، فمعناه: ليسوا بمصلحين، فعطف عليه: ولا ناعب بالجر، وقد روي: ولا ناعياً<sup>(٢)</sup>.

والشاهد:

أتهجر ليلي بالفراق حبيبها وما كان نفساً بالفراق تطيب<sup>(٣)</sup>

وقد تمسك به الذين يجيزون تقديم التمييز على عامله المتصرف، غير إن الذين يدفعونهم عن ذلك يروونه: وما كان نفسي بالفراق تطيب<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا الضرب قول الشاعر:

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عاراً عليك ورب قتل عار<sup>(٥)</sup>

وهو حجة الذين يذهبون إلى اسمية «رب»، إذ يجعلونها: مبتدأ خبره «عار»، وقد رد هذه الرواية نفر ممن لا يذهبون هذا المذهب.

يقول المبرد: «فهذا إنشاد بعضهم، وأكثرهم ينشده وبعض قتل عار»<sup>(٦)</sup>.

ويساق هذا الشاهد، وهو قول جرير:

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم علي إذن حرام<sup>(٧)</sup>

(١) الكتاب، ج ١ ص ١٥٤.

(٢) الكتاب، ج ١ ص ٨٣، والمختلف والمختلف، ص ١٠.

(٣) الجمل، ص ٢١.

(٤) الخصائص، ج ٢ ص ٣٨٤.

(٥) حماسة الشجري، ص ٩٠.

(٦) المقتضب: ٦٦/٣.

(٧) المقرب: ١١٥/١.

دليلاً على إيصال الفعل اللازم إلى الاسم ونصبه، وفي الكامل للمبرد قوله:  
«قرأت على عمارة بن عقيل بن جرير: مررتم بالديار ولم تعوجوا، فهذا يدل على أن  
الرواية مغيرة»<sup>(١)</sup>.

ويوردون البيتين:

قامت تبكيه على قبره      مَن لي مِن بعدك يا عامر  
تركنتي في الحسي ذا غربة      قد ذل من ليس له ناصر<sup>(٢)</sup>

والشاهد فيهما قولها: «تركنتي... ذا غربة» ويحتجون به على جواز الحمل على  
المعنى في التذكير والتأنيث. وقد وجدنا من يرويه: تركنتي في الدار وحشية<sup>(٣)</sup> ويروى  
أيضاً «تركنتي في الدار لي وحشة»<sup>(٤)</sup>.

والكوفيون يحتجون بقول الشاعر:

لكنه شاقه أن قيل ذا رجب      يا ليت عدة حولِ كله

على جواز توكيد النكرة، والبصريون ينكرون ذلك، ويرون أن الرواية الصحيحة  
للبيت: «يا ليت عدة حولي كله رجب» فهو معرفة لا نكرة.

ويتردد في كتب النحو قول الشاعر:

من يفعل الحسنات الله      والشر بالشر عند الله مثلان<sup>(٥)</sup>

(١) الكامل للمبرد: ٣٤ / ١.

(٢) الإغراب في جدل الإعراب، ص ٥٠.

(٣) العقد الفريد، ج ٣ ص ٢٥٩.

(٤) العقد الفريد، ج ٥ ص ٣٩٠.

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٢٦٧.

(٦) الكتاب، ج ٢ ص ٦٥.

وهو شاهد على حذف الفاء من جواب الشرط، وقد روي بغير هذه الرواية، يقول ابن جني: «هكذا أنشده سيويه، ورواه غيره من أصحابنا «من يفعل الخير فالرحمن يشكره»<sup>(١)</sup>.

ومما روي بروايتين مختلفتين، كل واحدة تمثل وجهاً قول القائل:

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر  
النازلون بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

وهو من شواهد سيويه، رواه في موضع «النازلون» «والطيبون»<sup>(٢)</sup>.  
ورواه في موضعين: «النازلين» «والطيبين»<sup>(٣)</sup>.

فإذا كان ورود الحديث الواحد بروايات مختلفة - تخرجه عن موضع الاستشهاد أو تدخله فيه - شبهة تمنع الاستشهاد به فإن هذه الأمثلة وغيرها تظهر بجلاء أن الشعر لم يبرأ منها، إذ ليس ثمة يقين يحمل على الاطمئنان إلى أن الفاظ الشواهد هي ألفاظ قائلها.

٨- إن ورود الحديث بصورتين تبدو إحداهما مخالفة للقياس والأخرى موافقة له ينبغي أن يؤخذ على أنه دليل قوي على مدى أمانة الذين أثبتوه.  
هذا فضلاً عما هو معروف من تشدد رواته وكاتبه.

ويمسنا بنا أن نتذكر في هذا المجال الواقعة التي تشير إلى أن سيويه مال عن دراسة الحديث إلى النحو إثر لجنة اقترفها في قراءة حديث من الأحاديث، لم يغتفرها له شيخه ولم يتجاوز عنها أو يتساهل بشأنها.

وإذا ما أدخلنا في اعتبارنا أن الصحيح قد يتهاى له من التواتر في صورة متنه ما لا

(١) سر صناعة الإعراب، ص ٢٦٦.

(٢) الكتاب، ج ١ ص ٢٠٢.

(٣) الكتاب، ج ٢ ص ٥٨ و ٦٤ وينظر: تفسير الطبري، ج ١ ص ٣٢٩.

يتهاً لغير الصحيح في أحيان كثيرة، لأن أكثر رواته عدول ومصادره صحاح أدركنا حيثنذ مدى الإجحاف والتجني اللذين يلحقان بالحديث الشريف الموافق للقياس والجاري على أدق أحكام الإعراب حين يصرف النظر عنه في مجال الاستشهاد، وحين ينظر إليه على أنه في رتبة أدنى في مقدار الثقة به من شواهد الشعر، وهو نثر ولا يستشهد به لما هو نثر.

ثم إن كثيراً مما هو مخالف للقياس من صور الحديث له وجه في اللغة يسيغه إما بحمله على ما هو جار في لغات العرب، أو بتأويله على نحو من وجوه التأويل. أما ما اشتمل على خطأ ظاهر لا سبيل إلى توجيهه فيصحح، إذ لا خطأ في الحديث في أصل روايته، أو يهمل ولا يعد منه.

وقد كان من تأثير قلة اهتمام أوائل النحويين بتسقط الشواهد على أحكام اللغة من الحديث الشريف أن استمر انصراف الخالفين عن تلافي هذا الإخلال في جهود أسلافهم، بعد أن استقرت كل أحكام اللغة في المصنفات الموسعة وغير الموسعة، واستوفت كل ما تتطلبه من الشواهد من القرآن والشعر، فأغناهم ذلك عن تطلب المزيد من الشواهد من الحديث لما استقر من مسائل النحو بقواعده وشواهد.

ومهما يكن من أمر فإن لغة الحديث لا تخلو من خصائص متميزة فهي بصرف النظر عن كونها ممثلة لكلام النبي ﷺ وكلام صحابته ﷺ أو كلام راويها تمثل لغة ذلك العصر الذي رويت فيه، أو دونت فيه، ومما يضيفي عليها أهمية أنها تبرز لنا نصوصاً متقدمة في اللغة، إذا علمنا أن جانباً منها قد أثبت في القرن الثاني الهجري<sup>(١)</sup>، وأن جانباً آخر كبيراً أثبت في القرن الثالث الهجري<sup>(٢)</sup>.

(١) مالك بن أنس صاحب الموطأ. توفي سنة ١٧٩.

(٢) ابن حنبل (ت ٢٤١) الدارمي (ت ٢٥٥) البخاري (ت ٢٥٦) مسلم (ت ٢٦١) الترمذي (ت ٢٧٠) ابن ماجة (ت ٢٧٥) أبو داود (ت ٢٧٥) النسائي (ت ٣٠٠).

## استشهاد سيبويه بالحديث الشريف

شاع بين العلماء القدامى، والناظرين في كتاب سيبويه من الباحثين في زماننا أن سيبويه لم يستشهد بالحديث الشريف في كتابه.

قال ابن الضائع (ت ٦٨٦) «تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث».

نقل ذلك عنه السيوطي (ت ٩١١) ولم يعقب عليه بشيء<sup>(١)</sup>.

وقيل: «إن سيبويه لم يذكر في كتابه الكبير حديثاً واحداً»<sup>(٢)</sup>.

وقيل: «ولم يستشهد سيبويه بالحديث النبوي ولعل سبب ذلك أن بعض الأحاديث نقلت بمعناها لا بلفظها»<sup>(٣)</sup>.

وهذا القائل يردد قول ابن الضائع بالحجة نفسها.

أما الدكتور حسن عون فقد قال بعبارة قاطعة: «ليس في الكتاب كله حديث من أحاديث الرسول»<sup>(٤)</sup>.

كان هذا المسلم به والمتفق بشأنه لدى باحثين آخرين منهم الأستاذ علي النجدي ناصيف والدكتور أحمد بدوي والدكتور شوقي ضيف<sup>(٥)</sup>.

(١) الاقتراح، ص ١٨.

(٢) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص ٦٤ - بغداد ١٩٦٥، وموقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، ص ٥١ - بغداد.

(٣) أبو حيان النحوي، ص ١٢٧ - بغداد ١٩٦٦.

(٤) تطور الدرس النحوي، ص ٤٥، القاهرة، ١٩٧٠ عن «موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث».

(٥) سيبويه إمام النحاة، ص ١٤٦، وسيبويه حياته وكتابه، ص ٢٩ والمدارس النحوية، ص ٨٠.

وجاء فيما ذكرته الدكتورة خديجة الحديثي في كتابها «موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث» المنشور سنة ١٩٨١ أن من الباحثين من تنبه إلى ما استشهد به سيويه من الأحاديث<sup>(١)</sup>.

وقد تيسر لنا في بحثنا «في الحديث الشريف والنحو» المنشور في مجلة الأستاذ سنة ١٩٧٩ أن نقع على ما يربو على عشرة مواضع استشهد فيها سيويه بالحديث الشريف، والأحاديث مثبتة في كتب الحديث المعتبرة.

وقد انتهج سيويه في استشهاده بالحديث أسلوباً أوقع الناظرين في كتابه في وهم أنه لم يستشهد بالحديث، إذ لم ينسب أيّاً من الأحاديث التي استشهد بها إلى النبي ﷺ، أو إلى قائل من القائلين، وإنما كان يورد الحديث في سياق ما ينظر فيه على أنه مثال من الأمثلة، أو قول من الأقوال، دون بيان قائله تصريحاً أو تلميحاً.

ففي باب ضمير الفصل يعرض حديثاً للنبي ﷺ على هذا النحو: «وأما قولهم: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه»<sup>(٢)</sup>.

وهو حديث معروف النسبة إلى النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، ولم يفصح سيويه عن قائله، وإنما هو عنده «قولهم»: يورده كما يورد ما يصدر عن العرب من الأقوال والصيغ، إذ يستهلها بقوله: «وأما قولهم...»، و«مثل هذا قولهم».

وحديث آخر يورده في سياق طائفة من الأمثلة التي يجريها على نحو ما يقوله العرب.

يقول: «ومما يدل على أنه على أوله ينبغي أن يكون أن الابتداء فيه محال: أنك لو قلت: أبغض إليه منه الشر لم يجوز، ولو قلت: خير منه أبوه جاز».

(١) موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث، ص ٥٢.

(٢) الكتاب: ٣٩٣/٢.

(٣) مسند ابن حنبل، ج ٤ ص ٢٣٣ وص ٢٥٣ وص ٢٨٢ و ٤٣٥/٣ و ٤٣٥/٤ و ٢٤/٤، وصحيح البخاري: ٣٤١/١ و ٣٠٨/٣ وصحيح مسلم: ٥٢/٨ والترمذي: ٣٠٣/٨ وسنن أبي داود: ٥٣١/٢.



ثم يقول: «ومثل ذلك: ما من أيام أحب إلى الله ﷻ فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة»<sup>(١)</sup>.

وصيغة هذا الكلام تدل على أنه حديث، إذ إن ما ينسب إلى الله تعالى لا يقوله إلا النبي ﷺ، ولا يجرو غير من المؤمنين الصالحين أن يقدم على ذلك، وقد أخرجه ابن حنبل في المسند<sup>(٢)</sup>.

والحديث يرد في سنن الترمذي على هذا النحو «ما من أيام أحب إلى الله أن يعبد له فيها من عشر ذي الحجة»<sup>(٣)</sup>.

ويعود إلى الحديث مرة أخرى مع بعض تغيير في روايته، قائلاً: «وإن شئت قلت: ما رأيت أحداً أحسن في عينيه الكحل منه، وما رأيت رجلاً أبغض إليه الشر منه، وما من أيام أحب إلى الله فيها الصوم من عشر ذي الحجة»

وتجد أن الحديث يندرج بين الأمثلة ويتبعها، وليس في العرض ما يهبه تميزاً منها، مما أدى إلى خفاء صفته، فلا تكاد تلمح أنه يقرب النظر في حديث من الأحاديث، على الرغم من اختلافه اختلافاً ظاهراً عما جاوره من الأمثلة بما يتضح من مضمونه.

وعلى هذا النحو يعرض قوله ﷺ: «سبح قدوس رب الملائكة والروح». وهو حديث أثبتته ابن حنبل في مسنده في خمسة مواضع<sup>(٤)</sup>.

يقول سيويه: «أما سبوحاً قدوساً رب الملائكة والروح فليس بمنزلة سبحان الله؛ لأن السبوح والقدوس اسم، ولكنه على قوله أذكر سبوحاً قدوساً، وذلك أنه خطر على باله، أو ذكره ذاكرةً فقال سبوحاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكتاب: ٣٢/٢.

(٢) مسند ابن حنبل: ١٣١/٢.

(٣) سنن الترمذي «صوم ٥١».

(٤) مسند ابن حنبل: ٣٥/٦ وص ٩٤ وص ١١٥ وص ١٧٦ وص ٢٠٠.

(٥) الكتاب: ٣٢٧/١.

ولا يعرف من هذا الذي «قال» ولا دلالة في السياق يستشف منها أنه يعني أحداً من القائلين، وإنما هو أحد من نطق بهذا القول دونما تحديد.

ثم يقول: «ومن العرب من يرفع فيقول: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح كما قال: أهل ذاك وصادق والله، وكل هذا على ما سمعناه من العرب، تتكلم به رفعاً ونصباً».

فهو ينظر في قول سمعه من العرب في سياق أقوال سمعها منهم، ثم وجدهم يتصرفون فيه رفعاً ونصباً.

ويستدل سيبويه بقوله ﷺ: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر» في ثلاثة مواضع، لم يقدم في أي منها ما يدل على أنه حديث. واستشهد به ابن مالك منسوباً إلى النبي ﷺ، إذ قال: «فمن النثر قول النبي ﷺ: «المرء مجزي بعمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر»<sup>(١)</sup>، كما استشهد به ابن هشام في شذور الذهب منسوباً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

يقول سيبويه في أحدها: «هذا باب ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف، وذلك كقولك الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرأ، والمرء مقتول بما قتل به إن خنجراً فخنجر وإن سيفاً فسيف»<sup>(٣)</sup>.

ثم يقول: «وإن شئت أظهرت الفعل فقلت إن كان خنجراً فخنجر وإن كان شراً فشر، ومن العرب من يقول: إن خنجراً فخنجرأ، وإن خيراً فخيرأ، وإن شراً فشرأ».

ويورد الحديث في موضع آخر فيقول: «إنما جاز هذا في (إن) لأنها أصل الجزاء، ولا تفارقه فجاز هذا لما جاز إضمار الفعل فيها حين قالوا: إن خيراً فخيرأ وإن شراً فشر».

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٨.

(٢) شذور الذهب، ص ٢٤٣.

(٣) الكتاب: ٢٥٨/١.

ويعرض له في موضع ثالث فيسوقه على هذا النحو «ونظير ذلك قوله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»<sup>(١)</sup>.

فتجد أن الحديث يعرض في هذا النحو من العرض، فهو مرة قولك، ومرة أخرى قول العرب، ويستهل في موضع آخر بـ(قالوا)، ثم يكون «ونظير ذلك قوله». وفي خلال هذا كله لا يتكشف أصل هذا القول، ومن قاله، حتى يكون أقرب ما يتبادر إلى الذهن فيه أنه قول من أقوال العرب؛ أو أنه مثال من أمثله التي يأتي بها حذواً لما يقولون.

ويستشف من إسناده القول إلى ضمير في قوله: «ونظير ذلك قوله» أنه ليس قولاً للعرب دون تحديد وإنما هو لقائل معروف، ونجد مثل هذا في موضع آخر مع حديث آخر، إذ يقول: «فإن أردت حكاية هذه الحروف تركتها على حالها كما قال: إن الله ينهاكم عن قيل وقال»<sup>(٢)</sup>.

وهو لا يفصح عن هذا القائل، في حين أن المقام يستدعي ذلك لتوثيق القول، فضلاً عن أن قصر هذا الحديث يحمل على الاطمئنان إلى سلامة روايته وأن التصرف فيه - على بعده - لا يخرج عما استشهد به من أجله، وهو دخول حرف الجر على الفعل وقد أثبت ابن حنبل هذا الحديث في ثمانية مواضع من مسنده<sup>(٣)</sup> دونما تغيير في روايته، كما أثبت البخاري في صحيحه<sup>(٤)</sup> هكذا.

وشبهه بهذا استشهاده بالحديث «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة». إذ يقول: «فأما ما جاء من المؤنث لا يقع إلا للمذكر وصفاً فكأنه في الأصل لسلعة أو نفس كما قال: «لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكتاب: ٢٥٨/١-٢٥٩.

(٢) الكتاب: ٢٦٨/٣.

(٣) مسند ابن حنبل: ٢٧/٢ وص ٣٦٠ وص ٣٦٧ و٤/٣٤٦ وص ٢٤٩ وص ٢٥٠ وص ٢٥١ وص ٢٥٥.

(٤) صحيح البخاري: ٢٢٥/٤.

(٥) الكتاب: ٢٣٧/٣.

وهو حديث تضافرت كتب الحديث على عرضه في مظان كثيرة، والخلاف في روايته يقتصر على «مؤمنة» و«مسلمة» وهو لا يمس موضع الاستشهاد منه<sup>(١)</sup>.

واستشهد سيبويه بالحديث «ونخلع ونترك من يفجرك» وقد أورده على هذا النحو «ومما يقوي ترك نحو هذا العلم المخاطب، قوله ﷺ: ﴿وَالْحَفِظَاتِ فَرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ فلم يعمل فيه الأول استغناء عنه، ومثل ذلك «ونخلع ونترك من يفجرك»<sup>(٢)</sup>.

وصيغته في هذا السياق تدل على أنه نص، ولم يكشف سيبويه له أية صفة، فلا هو «قولهم» ولا «قوله» ولا «قيل»، مع أن إيراد بعد الآية مباشرة يقتضي أن يلمح تلميحاً أنه قول لقائل، لكنه اكتفى في تقديمه بـ«ومثل ذلك».

وهو حديث استشهد به أبو البركات الأنباري في «الإنصاف» وذكر أنه حديث، إذ قال: «... وقال تعالى: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِنْيَةً﴾ فاعمل الثاني، وهو اقرووا، ولو أعمل الأول لقال: اقرووه»، وجاء في الحديث «ونخلع ونترك من يفجرك» فاعمل الثاني، ولو أعمل الأول لأظهر الضمير بدءاً<sup>(٣)</sup>.

وذكره ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» قائلاً: «ومنه ما جاء في دعاء الوتر: «ونخلع ونترك من يفجرك» أي يعصيك أو يخالفك»<sup>(٤)</sup>.

واستشهد سيبويه بالحديث، وهو قول رسول الله ﷺ: «إنما أنا عبد الله آكل كما يأكل العبد»، أورده في باب الحال، إذ قال: «وتقول: إني عبد الله مصغراً لربه، ثم تفسر حال العبيد فتقول آكلاً كما تأكل العبيد»<sup>(٥)</sup>.

(١) مسند ابن حنبل: ٣/١ و ٤١٥/٣ و ٤٣٨/٥ وصحيح البخاري: ٢/٢٦٤ و ٤/٢٣٦، وصحيح

مسلم: ١/١٣٩، وابن ماجه: ١/٥٤٨ و ٢/١٤٣٢ والترمذي: ١/١٥.

(٢) الكتاب: ١/٧٤.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٦٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٣/٤١٤.

(٥) الكتاب: ٢/٦٠.

والغرابة في هذا العرض في قوله: «وتقول...» ثم «مصغراً نفسه» ولم يقل: «مصغراً نفسك» مما يشي بأنه يورد نصاً.

وهو حديث ذكره الجاحظ في «البيان والتبيين» إذ قال: «وكان رسول الله ﷺ يقول: إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد»<sup>(١)</sup>، وذكره الزمخشري في «الفائق»<sup>(٢)</sup>.

كما ذكره ابن منظور في مادة «حضض» قائلاً: «وفي الحديث أنه أهدي إلى رسول الله ﷺ هدية، فلم يجد شيئاً يضعها عليه، فقال: ضعه بالحضيض، وإنما أنا عبدٌ أكل كما يأكل العبد»<sup>(٣)</sup>.

وربما كان من قبيل استشهاد سيبويه بالحديث وقوفه على «إما لا» في موضعين إذ يعرض هذه الصياغة على أنها «قولهم»، إذ يقول: ومثل آن في لزوم «ما» قولهم إما لا، فالزومها ما عوضاً ثم يقول: «ومثل ذلك قولهم: إما لا فكأنه يقول: «افعل هذا إن كنت لا تفعل غيره»<sup>(٤)</sup>.

وقال في موضع آخر ولكن هذا حذف حين كثر استعمالهم إياه في الكلام كما حذف الكلام من «إما لا»، زعم الخليل رحمه الله أنهم أرادوا: إن كنت لا تفعل غيره فافعل كذا وكذا إما لا، لكنهم حذفوا لكثرة في الكلام»<sup>(٥)</sup>.

وصحيح أنه ليس في هذه الصياغة ما يشير إلى أنها من الحديث، والأولى أن تعد من الصياغات التي تتردد على السنة الناس، ثم يعترى بنيتها الأصلية الحذف لشيوع استعمالها حتى تؤول إلى هذه الصورة.

(١) البيان والتبيين: ٣/٢.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ٢٨١/١.

(٣) لسان العرب: ٤٠٦/٨، والحديث في عيون الاخبار، ٢٦٧/١، والمستطرف في كل فن مستظرف، ص ٢٢٣.

(٤) الكتاب: ٢٩٤/١.

(٥) الكتاب: ١٢٩/٢.

بيد أنني وجدت أن أبا البقاء العكبري في كتابه «أعراب الحديث النبوي» الذي أخلصه لتوجيه ما أشكل من الحديث النبوي يعرض لهذه الصياغة، ويعدها من الحديث الشريف، إذ ترد في قوله ﷺ: «إما لا فأعني على نفسك بكثرة السجود».

يقول أبو البقاء في توجيهها: «... وهي مستعملة في معنى الشرط، وجوابها محذوف، والتقدير هاهنا: إلا تترك سؤالك شفاعتي فأعني»<sup>(١)</sup>.

كما وجدت ابن مالك يعرض لهذه الصياغة أيضاً في كتابه «شواهد التوضيح» ويعدها مما قاله النبي ﷺ، إذ يقول: «وقول النبي ﷺ: فإما لا فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر».

وبعد أن يورد مسألة أخرى يقول: «وفي» فإما لا فلا تتبايعوا شاهد على أن حرف الشرط قد يحذف بعده مقروناً بـ«ما» «كان». واسمها وخبرها المنفي بـ(لا) باقية، فإن الأصل: فإن كنتم لا تفعلون فلا تتبايعوا».

ثم يقول: «ومثله في «جامع المسانيد» قول النبي ﷺ للقاتل حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة: إما لا فأعني بكثرة السجود»<sup>(٢)</sup>.

ومدار التوجيه عند أبي البقاء العكبري وابن مالك هو «إما لا» الواردة في الحديث، وإذا كانت هذه الصياغة واردة في الاستعمال فإن وقوف أبي البقاء وابن مالك عليها لتوجيهها إنما هو متأت من ورودها في الحديث.

وقد وقف أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١) في أماليه على الحديث: «بيتك أو يمينه»، وقال: «وأما بيتك أو يمينه بالرفع فهذا اللفظ بعينه مسطور في كتاب سيويه، وذكر فيه النصب بإضمار فعل كأنه قال: احضر بيتك، وأجاز بإضمار المتبادر، وتقديره المحكوم به بيتك»<sup>(٣)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٨٤.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٣١.

(٣) أمالي السهيلي، ص ١٠٧.

ولم أوفق في العثور عليه في كتاب سيبويه المطبوع، ولم يجده محقق كتاب الأمالي أيضاً.

وذكر سيبويه شطراً من حديث التلبية في سياق كلامه على كسر همزة «إن» وفتحها، فقال: «وتقول: «لييك إن الحمد والنعمة لك، وإن شئت قلت: أن»<sup>(١)</sup>. وهذا شطر من كلمات النبي ﷺ في التلبية، ففي صحيح البخاري «... عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن تلبية رسول الله ﷺ: «لييك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك لا شريك لك»<sup>(٢)</sup>.

وسيبويه يتتهج هذا الأسلوب المتمثل في عدم نسبة الكلام إلى قائله مع كلام الله تعالى في مواضع قليلة من كتابه، ولا ينبغي حمل ذلك منه على أي عمل ينطوي على إساءة الظن بسيبويه، فإني وجدت مثل ذلك عند أبي زكريا الفراء وعند أبي العباس المبرد، ولا يبعد وقوع مثل ذلك عند آخرين.

قال سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر على إضممار الفعل المتروك إظهاره «والنصب أكثر وجوده، لأنه يأمر، ومثل الرفع ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ كأنه يقول: «الأمر صبر جميل»<sup>(٣)</sup>.

فكلام الله جلا وعلا يرد في السياق كما ترد أمثله التي يذكرها لبيان ما يريد. ونظير هذا قوله: «وحدثنا من لا نتهم أنه سمع من العرب من يقول: «رويد نفسه» جعله مصدراً كقوله: «فضرب الرقاب» وكقوله: «عذير الحي»<sup>(٤)</sup>.

فتجد أن شطر الآية يرد مع شطر الشاهد الشعري ولم ينسب أيأ منهما إلى قائله.

(١) الكتاب: ١٢٨/٣.

(٢) صحيح البخاري: ١٧٧/١.

(٣) الكتاب: ١/٣٢١ الآية/١٨ يوسف.

(٤) الكتاب: ١/٢٤٥، ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ سورة محمد: ٤، وعذير الحي قطعة من بيت لذي الإصبع العدواني، عذير الحي من عدوان كانوا حية الأرض.

وقد يورد آيتين في سياق واحد، فينسب إحداهما دون الأخرى كما في قوله: ومثل الرفع «طوبى لهم وحسن مآب»، ويدلك على رفعها رفع «حسن مآب» وأما قوله تعالى جده: ﴿وَيْلٌ لِلْمُكْذِبِينَ﴾ و﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ﴾ فإنه لا ينبغي أن تقول إنه دعاء ههنا<sup>(١)</sup>.

ومما أثبتته غير منسوب من كلام الله قوله: «... فقد يجوز أن تقول إما أن لا يكون يعلم فهو يعلم وأنت تريد أن يكون، كما جاءت ﴿لِتَلَامِعَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: «ومما ينتصب في هذا الباب على إضمار الفعل المتروك إظهاره: ﴿أَنْتَهُوْا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ ووراءك أوسع لك، وحسبك خيراً لك، إذا كنت تأمر»<sup>(٣)</sup>.

وقد ينسب الكلام لك على أنه قولك كما في قوله: «ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتخفيف الآخرة، وهو قول أبي عمرو، وذلك قولك: «فقد جاء أشراطها»، و﴿يَنْزَكِرِنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: «فقد جاء أشراطها»، و﴿يَنْزَكِرِنَا إِنَّا﴾<sup>(٤)</sup>.

ونجد نظير هذا الصنيع المتمثل في إيراد كلام الله غير منسوب عند أبي زكريا الفراء، في قوله: «فيجوز ذلك كقولك: ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾<sup>(٥)</sup>. وقوله: «وسمعت العرب تقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الكتاب: ٣٣١/١ و﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾، الرعد: ٢٩، و﴿وَيْلٌ لِلْمُكْذِبِينَ﴾ في عشرة مواضع من سورة المرسلات منها الآيات: ١٥، ١٩، ٢٤، و﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ﴾ المطففين/١.

(٢) الكتاب: ٣٩٠/١، الآية ٢٩ من سورة الحديد.

(٣) الكتاب: ٢٨٢/١، الآية ١٧١ من سورة النساء.

(٤) الكتاب ٥٤٩/٣، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ سورة محمد / ١٨، و﴿يَنْزَكِرِنَا إِنَّا﴾ مريم / ٧.

(٥) معاني القرآن ٣١/١.

(٦) معاني القرآن: ٢٤٢/١، الآية: يس: ١٢.



وقوله في سياق عرضه ما جاء في سورة يوسف: «ولذلك قيل: ﴿يَدْمِرُ كَذِبٌ﴾»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «ومن قال: ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ فيكون في موضع جر»<sup>(٢)</sup>.

ونجد مثل هذا في مواضع أخرى من معانيه.

كما نجد هذا النحو من عرض كلام الله تعالى عند أبي العباس المبرد.

إذ يقول: «كما قالوا ارمه، وما أدراك ما هيه»<sup>(٣)</sup>.

ويقول: «وذلك قولك: «منه آيات محكمات، وإن شئت منهو آيات محكمات

وعنهو أخذت»<sup>(٤)</sup>.

ويقول: «فتقول أئذا كنا تراباً، وتقول: أنت قلت للناس»<sup>(٥)</sup>.

ويقول: «يكون لالتقاء الساكنين، كقولك: اخشوا الرجل، ولترون الجحيم، ولا

تنسوا الفضل»<sup>(٦)</sup>.

ويقول أبو العباس المبرد: «ولا تقول رب يقوم زيد، فإذا ألحقت «ما» هيأتها

للأفعال، فقلت: ربما يقوم زيد، وربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»<sup>(٧)</sup>.

ويقول: «كما كان في الاستفهام في قولك: «أزيد ضربته، أبشراً منا واحداً

نتبعه»<sup>(٨)</sup>.

وإذا نظرنا في استشهاد النحويين بالحديث عند من استشهد به فإننا نجده لا يتجاوز

(١) معاني القرآن: ٣٨/٢، الآية: يوسف: ١٨.

(٢) معاني القرآن: ٥٢/٢، الأنعام: ٨٣.

(٣) المقتضب: ٣٢/١، القارعة: ١٠.

(٤) المقتضب: ٣٨/١، آل عمران: ٧.

(٥) المقتضب: ١٦٣/١، المائة: ١١٦.

(٦) المقتضب: ٩٣/١، (لترون الجحيم) النكاثر/ ٦ «لا تنسوا الفضل» البقرة/ ٢٣٧.

(٧) المقتضب: ٥٥/٢، الحجر/ ٢.

(٨) المقتضب: ٧٦/٢، القمر/ ٢٤.

---

الحدود التي نجدها في كتاب سيويه، أو أقل من ذلك، ويبدو أن عدم وجود حديث منسوب إلى النبي ﷺ في الكتاب هو الذي أوقع النحويين في وهم أن سيويه لم يستشهد بالحديث، على الرغم من استشهاده به بما يربو على عشرة من المواضع.

## المروي بالمعنى ليس من الحديث الشريف

الحديث الشريف هو كلام النبي ﷺ وكلام صحابته رضي الله عنهم، وعلى هذا فإن المروي بالمعنى منه ليس من الحديث الشريف، لأنه كلام الراوي الذي أدى ما تعلق بذهنه من معنى الحديث دون ألفاظه.

وما روي بالمعنى إذا جاء بالفاظ الراوي فهو حيثئذ بمثابة تفسير للحديث، إذ من المعلوم أن تفسير أي نص بالتعبير عنه بالفاظ المفسر ليس هو النص نفسه، وعلى هذا ليس بجائز أن يكون المروي بالمعنى بالفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين كما يدعي التحويون من الحديث الشريف.

وليس بوسعك أن تعمد إلى نص من نصوص الجاحظ فتضع مقابل كل لفظ من ألفاظه ما يوافقه من مرادفه موافقة تامة، ثم تقول: هذا نص الجاحظ، وهذا أسلوبه، وليس في التصرف بنص الجاحظ أي حرج أو مأثم.

وإذا شاء راوٍ من الرواة أن يروي قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى» بالمعنى، فيقول: «إنما الأعمال بالمقاصد، ولكل إنسان ما قصد» فهل يصح أن يدرج هذا الكلام مع ما روي بالمعنى من الحديث، وأن ينسب إلى النبي ﷺ على أنه قائله؟ ومعلوم أن لكل مرادف وإن طابق دلالة مرادفه مدى في الدلالة يختلف إلى حد ما عن دلالة مرادفه، ولاسيما إذا كان أحدهما أكثر استعمالاً، لما ينشأ عن كثرة استعماله من ألفة له في الأسماع، فيكون حيثئذ أقرب إلى الأفهام.

ولابد من مراعاة أهمية اختيار منشئ النص ألفاظه للمعاني التي يريد بها. ومما لا ريب به أن الألفاظ التي اختارها النبي ﷺ لمعانيه لا يماثلها على أي نحو الألفاظ التي يستعملها الراوي للمعاني نفسها في روايته للحديث بالمعنى.

فكيف يباح لأحد من الناس أن يُحل ألفاظه محل ألفاظ النبي ليكون ما تألف من كلامه هو الحديث المروي بالمعنى؟ ويكون هذا الضرب من الكلام هو الغالب على الحديث كما يزعم النحويون؛ ويقدم على أنه قول النبي ﷺ بالعبارة التي تنسب إليه نسبة مباشرة: قال رسول الله ﷺ: وهل تبرأ نسبة ألفاظ إلى النبي ﷺ لم ينطق بها من الوقوع في الإثم، وهي بلا ريب ليست بمستوى ألفاظه ودقتها في الدلالة على ما أرادته للمعنى الذي قصده، وهل ثمة من المؤمنين الصالحين الصادقين من يجرؤ على أن يقول النبي ﷺ ألفاظاً لم ينطق بها دون أن ينبه على أنها ألفاظه هو وليست ألفاظ النبي ﷺ.

وإذا كان من يرويه بالمعنى ليس له من العلم باللغة ما يعصمه من الوقوع باللحن، فينسب ما يرويه من الحديث الشريف مشتملاً على اللحن إلى النبي ﷺ فكيف يؤمل منه أن يؤدي الحديث الشريف بالدقة والصياغة التي أدتهما ألفاظ النبي ﷺ؟ ومعلوم أن رواة الحديث حريصون على روايته بالسند المتصل، وقد يكون مرسلًا يتلقاه الراوي من التابعي، ثم يقول التابعي: قال رسول الله ﷺ دون ذكر الصحابي، ثم يتتابع الرواة على الحديث.

وإذا كان كل راوٍ يروي ما يصل إليه من الحديث بالمعنى المرادف المطابق لألفاظه في الدلالة. فكيف تكون رواية الرواة المتأخرين؟ أمردافات أخرى؟ أم بألفاظ أخرى؟ وكيف يكون حينئذ أداء المعنى، معنى الحديث في الأصل؟ وكم يتبقى من معناه الذي قصده رسول الله ﷺ مع تعدد الرواة ومع الرخصة لكل منهم بأن يرويه بالمعنى؟.

وبأي مقدار من الأمانة والصدق مع رسول الله ﷺ حين ينسب إليه كلام لم يقله وألفاظ لم ينطق بها كما يزعم النحويون لتسوية عزوفهم عن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، وترجيح شواهدهم الشعرية عليه.

وإذا كان ثمة ما روي بلفظ النبي ﷺ من الأحاديث وما روي بالمعنى بلفظ الراوي معبراً به عما أرادته رسول الله ﷺ فالأحق والأولى ألا يتساويا في العرض والتقديم

والنسبة على أنهما مما قاله النبي بعد العبارة: قال رسول الله ﷺ؛ لأن الكلام فيهما مختلف، وليس هو بمستوى واحد من الأداء ومن الاعتبار.

وليس لدينا من الأحاديث ما هو مقيد على أنه بلفظ النبي ﷺ وما هو مفرد في مصنفات تشتمل على ما روي بالمعنى منها.

وما ادعاه النحويون بأن الغالب في الأحاديث مروى بالمعنى، بألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين إنما يشي بأنهم يرون أن كلام الأعاجم والمولدين الذين رووه بزعمهم بمستوى كلام النبي ﷺ، وأن كلامه بمستوى كلامهم، ولا يختلف عنه بشيء، فتعذر لذلك تمييز كلام النبي ﷺ من كلام الرواة من الأعاجم والمولدين، ونتيجة لذلك غدا الغالب من الأحاديث - كما يزعم النحويون - مروياً بالمعنى، فاحتاطوا لما ينظرون فيه من مسائل النحو بأن ينصرفوا عن الاستشهاد بما لا يتضح لديهم وجه الحق في روايته.

هذا على الرغم مما هو راسخ وراجح في يقين الأمة أن كلام رسول الله ﷺ يعلمو على كلام قومه، وهم أهل العربية والفصاحة.

وقد أدى ما أشاعه النحويون من أن الأحاديث في الغالب مروية بالمعنى إلى استبعاد كل الأحاديث عن مجال الاستشهاد حتى ما صح منها وسلمت صياغته، وكان مما يرقى إلى أن ينسب إلى النبي ﷺ على أنه من الحديث الشريف.

وإذا نظرنا إلى ألفاظ الحديث في كل مظان الحديث المعتبرة لدى الأمة فإننا نجد ما على مستوى واحد من الفصاحة، وبمستوى ما يليق بأن ينسب إلى رسول الله ﷺ، وهي كلها مما يتداوله الناس في التعبير عن شؤون حياتهم من الاستعمال الصحيح الفصيح، وما يتردد في القرآن والشعر، وفي كل الشر العربي.

أما ما بدا في طائفة منه من خطأ اللحن فذلك لم يرد إلا في القليل منه، بالقياس إلى الغالب الصحيح في كتب الصحاح وكتب السنن وغيرها من مظان الحديث الموثقة لدى الأمة، والكثير من هذا القليل الذي شابهته ضروب من خطأ اللحن قد ورد مع كل منه رواية أخرى أو روايات صحيحة.

يقول أبو الطيب المغربي (ت ١١٧٠هـ) «إن صحيح البخاري مع أنه مشتمل على سبعة آلاف ومئتين وخمسة وسبعين حديثاً بالمكرر فإن التراكمات المخالفة لظاهر الإعراب فيه لا تكاد تبلغ أربعين، ومع ذلك بسطها شراحه، وأزال النقاب عن وجوه إشكالها ابن مالك في ما كتبه على صحيح البخاري، بحيث لم يعد فيها إشكال ولا غرابة»<sup>(١)</sup>.

إن من شأن ما أشاعه نفر من النحويين من أن الغالب في الأحاديث مروية بالمعنى إذا ساد وغلب لدى الناس أن يهون من منزلة الحديث الشريف لديهم كما هانت منزلته لدى النحويين حين رجحوا شواهدهم الشعرية عليه، وعدوها أوثق منه وأوفق للاستشهاد بها على ما ينظرون فيه من مسائل النحو، وأبعدوا أكثره عن مجال الاستشهاد، وإلا فكيف يكون الاعتبار والتقبل لكلام معدود من الحديث الشريف، ويقال إنه ليس كلام قائله في الأصل، وإنما هو مروية بالمعنى بألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين؟

إذا كان الكلام مستهلاً بـ«قال النبي ﷺ» وكان مضمونه صحيحاً وفصيحاً، ويمثل وجهها مشاكلاً لشاهدهم الشعري فما الوجه الذي يمنع من ذكره مع الشاهد الشعري تعضيداً له، على أنه مما يرد في النثر وليس ذلك مقصوداً على الشعر؟ وما الوجه في الشك في صحته مع سلامته وفصاحته ونسبته إلى النبي ﷺ على أنه قائله؟

إن الأحاديث في مصادر الحديث المعتبرة، وفي كل كتب التراث الأدبية والدينية وكتب البلاغة وكتب إعجاز القرآن وكتب تفسير القرآن، وكل ما ذكر فيها من الأحاديث مستهلاً بالعبارة: قال رسول الله ﷺ: إنما هو الحديث الشريف حقاً وصدقاً،

(١) شرح الاقتراح لأبي الطيب المغربي، ورقة ٣٩ نقلاً عن موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث ص ٤٥، وهو منقول عن «احتجاج النحويين بالحديث»، بحث للدكتور محمود حسني محمود مجلة المجمع الاردني: العدد ٣ و ٤ ص ٤٤، ١٩٧٩.

ولا يمكن أن تجتمع الصفتان في كلام واحد، فيكون هو الحديث النبوي الشريف، ويكون مع ذلك كلام الرواة من الأعاجم والمولدين.

وإذا كان هو الحديث النبوي الشريف، مقروناً باسم النبي ﷺ فهو الكلام «الأفصح» - كما قال ابن مالك - و«أفصح الكلام» و«كلام أفصح الفصحاء» و«أفصح الكلام المنشور»، وأفصح ما يستدل به؛ إذ لا يجزؤ أحد ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر على أن يؤلف كلاماً بالفاظه هو، ثم يقول هذا قول رسول الله ﷺ، دون أن يبرئ ذمته بالقول إنه إنما يروى الحديث بالمعنى، وليس هو كلام النبي ﷺ حقاً .

وإذا كان ثمة من لا يتورع عن الإقدام على ذلك، ولا يردعه تحذير النبي ﷺ عن اقتراف نسبة ألفاظ لم ينطق بها إليه، وإن أدت معنى ما أراده فإن هذا القبيل من الرواة لا يمكن أن يكون هو الغالب ليكون الغالب من الأحاديث مروياً بالمعنى بحسب ما يدعيه النحويون.

## الحديث الشريف... والخطأ

قال رسول الله ﷺ: إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيئاً واحداً<sup>(١)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات»<sup>(٢)</sup>.

«... فقال رسول الله ﷺ: إن ما يُقدَّرُ فسيكن»<sup>(٣)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «إن لنفسك عليك حق»<sup>(٤)</sup>.

لم يحدث في كل التراث العربي والإسلامي أن نسب قول يشتمل على خطأ ظاهر لأحد من الناس عالماً أو غير عالم، وقيد في مصنف من المصنفات مع ما فيه من الخطأ. لكنك تجد في بعض كتب النحو، وفي المظان الأخرى العبارة: قال رسول الله ﷺ، ثم يكون الكلام مشتملاً على خطأ ظاهر لا سبيل إلى توجيهه، كالذي تراه في صدر هذه الصحيفة، وما ذلك إلا مراعاة لحرمة الرواية.

وإنه لمن العجب، مع ما يغيظ ويغضب أن مراعاة حرمة الرواية لم ترافقها مراعاة لعصمة النبي ﷺ من الوقوع في مثل ذلك.

ثم إنه مما هو مسلم به في كل العالم أنه إذا ورد نص في روايتين، إحداهما صحيحة والأخرى تشتمل على خطأ، فإن الرواية الخطأ تهمل أو تصحح اعتماداً على الرواية الصحيحة المروية أو المكتوبة، بيد أنك لا تجد هذا الصنيع مع الحديث الشريف، إذ تثبت الرواية الصحيحة ومعها الرواية الخطأ، فهم لا يفرطون بأي من الروايتين، وكلتاهما تُقيد بعد العبارة: قال رسول الله ﷺ، على أنهما من حديثه؛ إذ الرواية الخطأ لا تنسخها الرواية الصحيحة في الحديث.

(١) أبو البقاء العكبري: إعراب الحديث النبوي، ص ٥١.

(٢) أبو البقاء العكبري: إعراب الحديث النبوي، ص ٧٦.

(٣) أبو البقاء العكبري: إعراب الحديث النبوي، ص ١٨٣.

(٤) ابن مالك شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٠٥.



وقد وردت مع كل من هذه الأحاديث الأربعة رواية صحيحة في المصادر المعتمدة. إن خطأ الراوي في النص المكتوب شبيه بخطأ الناسخ فيما يكتبه من النصوص، فهما المخطئان حقاً، ولا صلة لمنشئ النص بذلك.

فما الذي يجعل خطأ الراوي ينسب إلى النبي ﷺ على أنه قائله؟ ولا تصحح الرواية على الرغم من التيقن بأن الأصل في الحديث الصحة، وأن الخطأ من الراوي دون غيره ومع وجود رواية أخرى صحيحة، ولا يجري ذلك على خطأ الناسخ إذا أخطأ فيما يكتبه، إذ يبادر إلى تصحيحه دون أن ينسب إلى منشئ النص البتة، هذا مع أن الكاتبين على مراتب وأن النبي ﷺ في رتبة لا تدانيها رتبة في البلاغة والبيان واستواء الأسلوب وصحته، إذ هو أفصح العرب، وأفصح من نطق بالضاد.

وهم لا يرتضون نسبة الخطأ النحوي إلى أحدٍ من شيوخهم؛ لأنهم علماء لا يلحنون ولا يخطئون، وإن كانوا من الأعاجم والمولدين، وليس فيهم من هو أفصح من نطق بالضاد.

وإذا وقعوا على خطأ في مصنفٍ من مصنفاتهم نظير ما هو وارد في هذه الروايات فإنهم يعمدون إلى تصحيحه، لكن الخطأ في كلام منسوب إلى النبي ﷺ لا يصحح، وإنما يظل منسوباً إليه بخطئه مع إقرارهم بأنه خطأ الراوي.

إن جريرة ذلك تقع على النحويين أنفسهم، فهم الذين انتبهوا إلى وجود الخطأ في الرواية، ونبهوا عليه، ولم تدفعهم الغيرة على كلام النبي ﷺ إلى التمسك بالصحيح من الروايات، ونبذ ما عداها، أو تصحيحه مع تيقنهم بأن الأصل في الحديث الشريف هو الصحة والسلامة من أي ضربٍ من ضروب الخطأ، ولم يبادروا إلى نفي هذه الشبهة عن الحديث كله مع ظهور أول بوادر الحذر من الاستشهاد بالحديث في مصنفات النحو الأولى، وقد تمثل ذلك بقلة الاستشهاد به قلة ظاهرة بالقياس إلى شواهدهم من الشعر، واستمر ذلك حتى مراحل متأخرة من التصنيف في النحو.

والحجة الصارفة عن التوسع في الاستشهاد بالحديث - بزعم النحويين - أن  
الغالب منه مروى بالمعنى، بالفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين، ولم يستثر ذلك أحداً  
من أوائل النحويين.

والعجيب أننا نجد أبا الفتح من جنى يغضب غضبة شديدة على المبرد، لا لشيء  
إلا لأنه أبدى شكاً في رواية رواها سيبويه لشاهد من شواهد، إذ روى قول امرئ  
القيس:

اليوم أشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل

بإسكان الباء من الفعل (أشرب)، وذكر المبرد أن الرواية هي: «اليوم فاشرب»  
فاستثار ذلك ابن جني، فرد عليه قائلاً: «وقول أبي العباس: إنما الرواية فاشرب فكأنه  
قال لسيبويه كذبت على العرب، ولم تسمع ما حكيتهم عنهم، وإذا بلغ الأمر هذا الحد  
من السرف فقد سقطت كلفة القول معه»<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي سقطت كلفة القول معه هو أبو العباس المبرد!

أما أن يستبدل الغالب من ألفاظ حديث النبي ﷺ بالفاظ الرواة من الأعاجم  
والمولدين، مع ما فيها من الخطأ - كما يزعمون هم - فإن هذا لم يستثر أحداً منهم، ولم  
نجد عالماً من علمائهم الأوائل يغضب غضبة ابن جني على المبرد لشكه في رواية شاهد  
واحد من شواهد سيبويه.

ولسنا ندري كيف ارتضى النحويون وغيرهم بذلك، وكيف احتملوا أن يظل  
الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ مشتملاً على خطأ - وهذا ما لم يكن مع أي أحد من  
الناس، ولا يصح أن يكون مع أي أحد من الناس - دون أن يقدموا على استخلاص  
الصحيح من المروى من الحديث في مصنفات تكون هي مصادر الشواهد للنحويين  
وغيرهم. كل ما فعلوه أنهم لم ينشطوا إلى الاستشهاد به، وحين أقدم أحدهم وهو ابن

(١) المحتسب، ١١٠/١.

مالك على التوسع بالاستشهاد بالحديث ثارت عليه نائرة الشاكين في أصالة ألفاظ الحديث.

وربما قيل أن الحديث حينما يأتي مشتملاً على لحن أو أي ضرب من ضروب الخطأ يكون معلوماً أن الخطأ من الراوي.

وهذه تعلقة واهية؛ إذ إن الحديث المشتمل على خطأ يأتي بعد العبارة: قال رسول الله ﷺ ، على أنه هو قائله، ولا ذكر للراوي، فالخطأ منسوب إليه، وليس للراوي غير المذكور.

وإنك إذا نسبت عيباً إلى شريف فقد أسأت إليه، وإن كان هذا الشريف مبراً من كل عيب، ولا يدفع عنه الإساءة ما هو معلوم من شرفه وعلو قدره.

ومما يحسن الاعتبار به في هذا السياق ما جاء في الأثر أن أحد الصحابة سئل عن عمره، ف قيل له: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟

فأجاب: أنا أسنُّ منه، وهو أكبر مني.

على هذا القدر ينبغي التقيد بالأدب مع رسول الله ﷺ وإلا فكيف: قال رسول الله ﷺ.... وهو خطأ، ومعلوم يقيناً أنه خطأ الراوي؟!

وقد أورد أبو البقاء العكبري في إعرابه للحديث النبوي طائفة من الأحاديث المشكّلة، منها الحديث: «إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيئاً واحداً.

وعرضه على هذا النحو: «وفي حديث جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيئاً واحداً، هكذا في الرواية بالنصب، وهو خطأ من الراوي، والوجه الرفع على أنه خبر (بنو)، وليس هنا خبر غيره».

أليس من الحق، ومما يقتضيه الوفاء لرسول الله ولحديثه أن يقال لأبي البقاء - عفا الله عنه -: إذا كان معلوماً منذ البدء أنه خطأ الراوي فكيف ينسب إلى رسول الله ﷺ ابتداء؟!

أما كان الأجدد والأحكام والأسلم أن تنسب الرواية الصحيحة للحديث إلى النبي ﷺ؛ لأن الحديث هو هكذا في الأصل، وهذا ما تقتضيه الأمانة مع رسول الله ﷺ، وما يستوجبه أدنى فروض الأدب معه ثم يقال: وجاء في رواية كذا... والخطأ من الراوي؟ وقد جاء الحديث في روايتين صحيحتين إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد، و«إنما أرى هاشماً والمطلب شيئاً واحداً»<sup>(١)</sup>.

فما الفائدة من ذكر الرواية الخطأ منسوبة إلى النبي ﷺ؛ وتخطئتها؟ مع وجود الروايتين الصحيحتين؟

وخطأ أبو البقاء رواية الحديث الثاني: «لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات» بعد أن نسبه إلى النبي ﷺ، إذ قال: «وفي حديث حذيفة بن أسيد» قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات...»... وفي هذا الحديث (حتى ترون) بالنون ولا وجه له لأن (حتى) ههنا بمعنى إلى أن.

كما خطأ الحديث الثالث «إن ما يقدر في الرحم فسيكن»، بعد أن نسبه إلى النبي ﷺ، وفيه خطأان اثنان: اقتران جواب الشرط بالفاء مع السين وجزم الفعل، فقال: هكذا وقع في هذه الرواية بغير واو، وهو خطأ لأن ألفاء جواب الشرط والسين تمنع من عمل العامل فيما بعدها، ففيه إذن شيان مانعان من الجزم البتة» والحديث في مسند ابن حنبل: «فسيكون»<sup>(٢)</sup>.

أما ابن مالك فقد وجه رواية الحديث «إن لنفسك عليك حق» بعد أن نسبه إلى النبي ﷺ، على تقدير «إنه لنفسك عليك حق»، وهو توجيه تغني عنه الرواية الصحيحة للحديث «إن لنفسك عليك حقاً»، وإلا فإن مثل هذا لا يصح فيه تقدير ضمير الشأن، ولا يصح القياس عليه بهذه الحجة.

(١) المسند ٤/٨١، هامش المحقق ص ٥١.

(٢) مسند ابن حنبل: ٣/٤٥٠.

## الحديث الشريف في كتب غريب الحديث

توالى التأليف في غريب الحديث ابتداء من نهاية القرن الثاني الهجري، ويذكر أن أول من صنف في هذا الشأن أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠) ثم تتابعت الجهود واستمرت حتى القرن العاشر، وبلغ مجموع ما ألف في غريب الحديث خلال ذلك ما يقارب الخمسين مصنفاً.

- وقد جاءت على هذا النحو من الاستمرار والتتابع:
- كتاب النضر بن شميل (ت ٢٠٣).
- كتاب قطرب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦).
- كتاب أبي عمرو الشيباني إسحاق بن مرار (ت ٢١٠).
- كتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠).
- كتاب أبي زيد الأنصاري سعيد بن أوس (ت ٢١٥).
- كتاب عبد الملك بن قُريب الأصمعي (ت ٢١٦).
- كتاب الحسن بن محبوب السراد (من أصحاب الإمام الرضا).
- كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤).
- كتاب ابن الأعرابي محمد بن زياد (ت ٢٣١).
- كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني (ت ٢٣١).
- كتاب علي بن المغيرة الأثرم (ت ٢٣٢).
- كتاب أبي مروان عبد الملك بن حبيب المالكي الإلبيري (ت ٢٣٨).
- كتاب أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي النحوي (ت ٢٤٥).
- كتاب أبي جعفر محمد بن عبد الله بن قادم (ت بعد ٢٥١).

- كتاب محمد بن عبد السلام الحشني (ت ٢٨٦).
- كتاب أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١).
- كتاب ابن كيسان محمد بن أحمد بن إبراهيم.
- كتاب محمد بن عثمان الجعد، أحد أصحاب ابن كيسان.
- كتاب قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي (ت ٣٠٢).
- كتاب أبي محمد القاسم بن محمد الأنباري (ت ٣٠٤).
- كتاب ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١).
- كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨).
- كتاب أبي الحسين عمر بن محمد القاضي المالكي (ت ٣٢٨).
- كتاب أبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد غلام ثعلب (ت ٣٤٥).
- كتاب ابن درستويه أبي محمد عبد الله بن جعفر (ت ٣٤٧).
- كتاب أبي سليمان الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨).
- كتاب أبي عبيد الهروي أحمد بن محمد (ت ٤٠١).
- كتاب أبي القاسم إسماعيل بن الحسن البيهقي (ت ٤٠٢).
- كتاب أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي الشافعي (ت ٤٤٧).
- كتاب إسماعيل بن عبد الغافر راوي صحيح مسلم (ت ٤٤٩).
- كتاب الشيخ العميد إبراهيم بن محمد النسوي (ت ٥١٩).
- كتاب أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل (ت ٥٢٩).
- كتاب أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨).
- كتاب الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر الأصفهاني (ت ٥٨١).
- كتاب أبي شجاع محمد بن علي بن شعيب الدهان (ت ٥٩٠).
- كتاب أبي الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧).

- كتاب ابن الأثير مجد الدين بن محمد الجزري (ت ٦٠٦).
- كتاب ابن الحاجب عثمان بن أبي بكر (ت ٦٤٦)<sup>(١)</sup>.

ثم توالى التأليف في غريب الحديث على هذا النحو من الاستمرار والتتابع في القرون التالية حتى القرن العاشر. ومعلوم أن كتب غريب الحديث هي كتب حديث، تثبت في كل منها الأحاديث، ثم يفسر المصنف ما يراه في الحديث من غريب اللغة، وما يحتاج إلى بيان فيها، وهي تشتمل على الأصول الصحيحة المروية عن النبي ﷺ وصحابه رضي الله عنهم، وهذه الكتب في توجهها إلى بيان ما يشتمل عليه الحديث من الغريب تنتقي من الروايات الرواية الصحيحة للحديث؛ لأن ما تهدف إليه يقتصر على بيان ما في الحديث من الغريب، فلا ينصرف فيها جهد المصنف إلى غير ذلك، وعلى هذا فإن كتب غريب الحديث إنما هي المظان المشتملة على المضامين الأصلية الصحيحة للحديث.

ولا ريب أن من يتطلب غريب اللغة في الحديث إنما يتطلبه في الكلام الأصيل في اللغة، الموثوق بصحة نسبه إلى النبي ﷺ، ولا يتطلبه في ألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين، وإن كل اهتمامه ينصرف إلى ألفاظ الحديث، إذ بها تناط المعاني، ويتبين المراد وهذا ما يراه المصنفون في غريب الحديث.

يقول ابن الأثير في مقدمة كتابه «النهاية في غريب الحديث»: «ولا شك أن معرفة الفاظه مقدمة في الرتبة؛ لأنها الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عُرِفَتْ ترتبت المعاني عليها، فكان الاهتمام ببيانها أولى»<sup>(٢)</sup>.

وما يريد به ابن الأثير هنا هو ألفاظ الحديث الشريف، وليس ألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين.

وعرض ابن الأثير جهود من تقدمه من العلماء، ممن صنفوا في غريب الحديث،

(١) عن مقدمة محققى النهاية في غريب الحديث، طاهر حميد الزاوي ومحمد محمد الطناحي: ١/٣-٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث، ٣/١.

وبين ما انتهجه كل منهم في كتابه، وما بذلوه من الجهد في هذا الشأن، ومن هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤)، إذ قال عنه: «واستمرت الحال إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام وذلك بعد المتين فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار، الذي صار - وإن كان أخيراً - أولاً لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجمّة، فصار هو القدوة في هذا الشأن، فإنه أفنى فيه عمره، وأطاب به ذكره، حتى قال فيما يروى عنه: إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة، وهو خلاصة عمري، وقد صدق - رحمه الله - فإنه احتاج إلى تتبع أحاديث رسول الله ﷺ على كثرتها، وآثار الصحابة والتابعين على تفرقتها وتعددتها، حتى جمع منها ما احتاج إلى بيانه بطرق أسانيدها وحفظ روايتها، وهذا فن عزيز شريف لا يوفق له إلا السعداء»<sup>(١)</sup>.

ومن بذل هذا القدر من الجهد الذي امتد لأربعين عاماً لا بد أن يكون منتهى طلبه وغاية وكده ما صحت نسبته إلى النبي ﷺ بلفظه لا بلفظ غيره، وما تأكد لديه أنه بلفظ صحابته، فقد أخلص الجهد - رحمه الله - خلال هذا الزمن الممتد في التتبع والتقصي يحدوه إلى ذلك سمو الهدف وعظم الغاية وما يتوخاه من عظيم الأجر، وما يستوجبه الوفاء لما نطق به رسول الله ﷺ.

وبين الزمخشري في مقدمة كتابه الفائق في غريب الحديث ما بذله أسلافه من الجهود في التدقيق مع الاحتياط فيما جمعه من الحديث لمصنفاتهم التي أخلصوا فيها البحث والتقصي لكل ما اشتمل من حديث النبي ﷺ على غريب اللغة، إذ قال: «وقد صنف العلماء - رحمهم الله - في كشف ما غرّب من ألفاظه واستبهم، وبيان ما اعتاص من أغراضه واستعجم كتباً تنوّقوا في تصنيفها، وتجدوا واحتاطوا ولم يتجاوزوا، وعكفوا الهمم على ذلك وحرصوا، واغتنموا الاقتدار عليه وافترضوا، حتى أحكموا ما شاؤوا وأترصوا، وما منهم إلا من بطش فيما انتحى بباع بسيط، ولم يزل عن موقف الصواب مقدار بسيط، ولم يدع المتقدم للمتأخر خصاصة يستظهر به على سدها»<sup>(٢)</sup>.

(١) النهاية في غريب الحديث ٦/١ .

(٢) الفائق في غريب الحديث : ١٢/١ .



وقد سمي أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب الإمام أبي منصور الأزهري كتابه «كتاب الغريبين» جمع فيه غريب القرآن وغريب الحديث، فسر فيه الغريب من كلام الله تعالى والغريب من كلام رسول الله ﷺ، فما اشتمل عليه من الأحاديث النبوية إنما هو بمنزلة كلام الله من حيث الوثوق بصحته وسلامته، إذ لا يمكن أن يكون في الغريبين كلام الله تعالى وكلام الرواة من الأعاجم والمولدين.

كما صنف الحافظ أبو موسى محمد بن بكر الأصفهاني (ت ٥٨١) كتاباً في الغريبين سماه «المغيث في غريب القرآن والحديث» أثبت فيه ما فات الهروي من غريب القرآن وغريب الحديث.

هذه الكتب كلها موجودة على مر العقود وليس العصور، وهي تقارب الخمسين مصنفاً، مشتملة على الحديث النبوي الشريف الذي بذل فيه أقصى الجهد وأخلصه في جمعه وتدقيقه وتحقيقه، وإنه لما يستثير العجب ألا يلتفت إليها النحويون، ولا ريب أن كثرتها وأهمية مضمون كل منها مما يجعل من المستبعد عدم علمهم بها، أو انتفاء حاجتهم إلى أي منها، وهي كتب حديث تشتمل على ما هو موثق من الحديث. فما الذي صرفهم عنها؟!

أما كان الأجدر بهم أن يتخذوها موارد ومصادر لشواهدهم من الحديث، ومعلوم أن الذين استخلصوها من مظانها هم من كبار العلماء المعروفين بالدقة في التحري والتحقيق، والتفاني في بذل الجهود لإبراز حديث نبيهم ﷺ في أجلى صورة وأدق تحقيق لما له من المنزلة في نفوسهم، فهو في المرتبة بعد كلام الله تعالى عندهم. أم إنهم لم يجدوا في كل كتب غريب الحديث ما يرقى في مجال الثقة في الاستشهاد به إلى مرتبة شواهدهم الشعرية؟

وغريب الحديث هو ما اشتمل عليه الحديث من غريب اللغة، الأصيل العريق فيها وفي هذه الكتب، وحينما يفسره المصنفون يستشهدون له بالشواهد التي تضمنتها، ما تيسر ذلك، فأين ألفاظ الأعاجم والمولدين التي غلبت على الحديث، «ولولاها لجرت ألفاظ الحديث مجرى ألفاظ القرآن في إثبات القواعد الكلية» كما يرى ابن الضائع وأبو حيان النحوي والسيوطي؟

---

## استشهاد النحويين للحديث الشريف بكلام الله وبالشعر المعتر للاستشهاد

لم يبد النحويون ميلاً إلى الاستشهاد بالحديث الشريف لما يرصدونه من أحكام اللغة، وما يُقرونه منها، وهم أميل إلى الاستشهاد بالشعر، ولم يكن الحديث يحظى بثقتهم بالقدر الذي يحظى به الشعر لديهم، سواء ما كان معروف القائل، أو ما لا يعرف قائله، وكثير منه لا يعرف الزمن الذي قيل فيه، ويتضح ذلك على نحو ظاهر في مصنفات النحويين التي قلت فيها الشواهد منه قلة ظاهرة بالقياس إلى شواهدهم من الشعر، ويكاد ينتفي وجوده في كثير منها، لأن علم النحو كما قال صاحب ثمار الصناعة «علم يستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى وكلام فصحاء العرب»<sup>(١)</sup>.

فلا مكان للحديث في علمهم بين ما في كتاب الله تعالى وكلام فصحاء العرب، بحسب هذا التعريف لعلم النحو.

والغريب في موقف عامة النحويين من الحديث الشريف أنهم حينما يقفون على توجيه ما يرونه في الحديث من المشكل وغير المشكل يستشهدون له بكلام الله تعالى، فكيف إذن هو مروي بالمعنى «وقد تداوله الرواة من الأعاجم والمولدين فرووه بما أدت إليه عباراتهم» كما يقول السيوطي، ثم يكون المشكل منه وغير المشكل موافقاً لما يرد في كلام الله تعالى.

والنحويون إلى ذلك يستشهدون بالشعر المعتر لديهم للاستشهاد لما يقفون عليه من الظواهر النحوية واللغوية في الحديث الشريف.

---

(١) الاقتراح، ص ١٨.

وبين أيدينا كتابان اتجه مؤلفاهما لتوجيه المشكل وغير المشكل من الحديث وهما:  
إعراب الحديث النبوي لأبي البقاء العكبري، وشواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات  
الجامع الصحيح لابن مالك، والشاهد لما يقفان عليه من الحديث إنما هو من كلام الله  
تعالى، ومن الشعر المعتبر لدى النحويين للاستشهاد، فمن أي وجه يلتقي كلام الله  
تعالى وشواهدهم الشعرية مع كلام الرواة من الأعاجم والمولدين، ومن أي سبيل؟

## ما استشهد به أبو البقاء من القرآن

### للحديث الشريف

جاء في حديث موسى مع الخضر عليهما السلام «قال: أتى بأرضك السلام» فقال أبو البقاء في توجيهه: «أنى ههنا فيها وجهان: أحدهما: من أنى كقوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ فهي ظرف مكان والسلام مبتدأ، والظرف خبر عنه والوجه الثاني هما بمعنى كيف»<sup>(١)</sup>.

وجاء في سياق هذا الحديث «لوددنا لو صبر»، فقال أبو البقاء: لو ههنا بمعنى «أن» الناصبة للفعل كقوله تعالى: ﴿وَدُّوْا لَوْ نُذِرْنَ فَيَذَرُوهُنَّ﴾ و﴿وَدُّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. ووقف على قول النبي ﷺ لأبي بن كعب ؓ: «يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله تعالى معك أعظم»<sup>(٣)</sup>.

فقال: «لا يجوز في «أي» ههنا إلا الرفع على الابتداء، وأعظم خبره، وتدري معلق عن العمل، وهو كقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَرْبِينَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٤)</sup>. ولم تؤنث «أي» في قوله: أي آية في كتاب الله... مع إضافتها إلى مؤنث لأن ذلك ليس لازماً كما يظن بعض المقومين، وقد جاءت في القرآن مضافة إلى مؤنث، ولم

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٥.

(٢) القلم/ ٩ والنساء/ ٨٩.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٦.

(٤) الكهف/ ١٢.

تؤنث، كما في قوله تعالى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾<sup>(١)</sup> وفي قوله: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث جمع القرآن أنه كان يملُّ عليهم القرآن:

فقال أبو البقاء: «يملُّ بضم الياء لا غير، وماضيه «أمل»، وفي القرآن «أو لا يستطيع أن يمل»، وفيه لغة أخرى: أملى يملى، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَهِيَ تَمْلَى عَلَيْهِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومما جاء في مسند أحمد بن حنبل - رحمه الله - من حديث أسامة رضي الله عنه «فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم حطمة الناس خلفه قال: رويداً أيها الناس عليكم السكينة».

فقال أبو البقاء: «الوجه أن تنصب السكينة على الإغراء، أي: الزموا السكينة، كقوله تعالى: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾، ولا يجوز الرفع لأنه يصير خبراً، وعند ذلك لا يحسن أن يقول: رويداً أيها الناس»<sup>(٤)</sup>.

كل ما في هذا الحديث من ألفاظ القرآن، وقد وردت «الحطمة» في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنَبَّذَنَّ فِي الْخُطْمَةِ ۗ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ۗ ﴿٥﴾ ».

واختلاف المعنى في الحديث مع اتفاق الأصل والبناء مع لفظ القرآن دليل على أصالة اللفظ في العربية، والسكينة من ألفاظ القرآن، وقد جاءت فيه في ستة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الانفتار/ ٨.

(٢) لقمان/ ٣٤.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٨، البقرة/ ٢٨٢، الفرقان/ ٥.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١٢.

(٥) سورة الهمزة/ ٤، ٥.

(٦) البقرة/ ٢٤٨.

(٧) سورة الفتح/ ٤.

وقد ورد المصدر «رويد» في قوله تعالى: ﴿ قَهْلِ الْكَافِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رويداً ﴾ (١).  
وذكر أبو البقاء قول النبي ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» والحديث مثبت في الصحيحين (٢).

فقال أبو البقاء: «يجوز في الرحماء النصب على أن تكون «ما» كافة، كقوله تعالى: «إنما حرم عليكم الميتة»، والرفع على تقدير: إن الذي يرحمه الله، وأفرد على معنى الجنس كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ، ثم قال: ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ يَتُورِهِمْ ﴾ (٣).

وجاء في حديث أسامة بن عمير الهذلي «قام منادي رسول الله ﷺ: إن الصلاة في الرحال».

فقال أبو البقاء في توجيه ما يجوز في همزة «إن» فيه: «يجوز في إن»، الفتح على تقدير: ينادى أن الصلاة في الرحال، أي ينادى بذلك، والكسر على تقدير: فقال إن الصلاة؛ لأن النداء قول: ومنه قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ، ثم قال: ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ قرئ بالفتح والكسر، وكقوله تعالى: ﴿ تُودَى يَلْمُوسَى ﴾ (١١) ﴿ إِنِّي ﴾ بالوجهين، وكذلك قوله: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ ﴾ (٤).

ومما أثبتته أبو البقاء من حديث أنس بن مالك: «يستحيي ربه ﷻ من ذلك»، فقال: «الأصل من ربه، فحذف من» للعلم به كقوله تعالى: ﴿ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ أي من قومه (٥).

(١) الطارق/١٧.

(٢) صحيح البخاري: ١٤٦/١، صحيح مسلم: ٣٩/٣.

(٣) البقرة: ١٧، إعراب الحديث النبوي، ص ١٤.

(٤) القمر/ ١٠، إعراب الحديث النبوي، ص ١٧.

(٥) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٢.

وقد حمل سيبويه نصب قومه في الآية على أنه مفعول ثانٍ لاختار، وعده مثل الفعل سَمَى<sup>(١)</sup>.

وفي حديثه «إنه الإيمان حب الأنصار وإن النفاق بغضهم».

قال أبو البقاء: «الهاء فيهما ضمير الشأن والقصة، مثل قوله تعالى: ﴿فَاتَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾، وليست ضميراً عائداً على مذكور قبله»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديثه قول النبي ﷺ لفاطمة عليها السلام: «هذا أول طعام أكله أبوك من ثلاثة أيام».

قال أبو البقاء: «هكذا في هذه الرواية، ودخول «من» لابتداء غاية الزمان جائز عند الكوفيين، ومنعه أكثر البصريين، والأقوى عندي مذهب الكوفيين... ومنه قوله تعالى: ﴿أَسِسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث جابر بن عبد الله «من كن له ثلاث بنات».

قال أبو البقاء في توجيهه «وقع في هذه الرواية «كن» بتشديد النون، والوجه من كان له أو من كانت له، والوجه في الرواية المشهورة أنه جعل النون علامة مجردة للجمع، وليست اسماً مضمراً»<sup>(٤)</sup>.

واستشهد له بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَكُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(٦)</sup>.

وفي حديثه، في قتلى أحد «كل دم يفوح مسكاً».

(١) الكتاب: ٣٧/١.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ٣٣.

(٣) التوبة/١٠٨، إعراب الحديث النبوي، ص ٣٥.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ٣٩.

(٥) المائدة/٧١.

(٦) الأنبياء/٣.

قال أبو البقاء: «في نصبه وجهان، أحدهما: هو تمييز تقديره: يفوح مسكه... ومثله ﴿فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾<sup>(١)</sup> و﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾<sup>(٢)</sup> والوجه الثاني أن يكون حالاً، ويكون التقدير «يفوح مثل المسك».

وفي حديثه: «رأى رسول الله ﷺ رؤيا، فقال له أبو بكر: دعني فلاعبرها».

قال أبو البقاء: «يجوز أن يروى بسكون اللام على أنها لام الأمر، ويكون قد أمر نفسه، كقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث جابر بن عبد الله «فجعلن ينزعن حلّيهن وقلائدهن وقرطتهن وخواتيمهن يقذفون به في ثوب بلال، يتصدقن به».

قال أبو البقاء: «إنما ذكر الضمير في قوله: «به» لأنه أراد المال أو الحلبي، لأن المذكور كله مال وحلي، فحمل على المعنى، ويجوز أن تعود الهاء إلى معنى الشيء المذكور، ومثله قوله تعالى: ﴿شُقِّقْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ أي بطون المذكور<sup>(٤)</sup>.

وقد حمله أبو البقاء على هذا الحمل؛ لأن قبله في الآية ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ فلم يعد الضمير في بطونه على «الأنعام».

وفي حديثه أنه قال: «لما دخلت المدينة والنبي ﷺ يخطب رماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله ذكرني رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم ذكرك رسول الله أنفأ».

قال أبو البقاء: «أنفأ منصوب على الظرف، تقديره: ذكرك زماناً أنفأ أي قريباً من وقتنا، وحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير الفاعل، أي ذكرك مستأنفاً لذكرك، ومنه قوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ أَنفَأ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) النساء / ٤ .

(٢) العنكبوت / ٣٣، إعراب الحديث النبوي، ص ٤٢ .

(٣) العنكبوت/٦، إعراب الحديث النبوي، ص ٤٥ .

(٤) النحل/٦٦، إعراب الحديث النبوي، ص ٤٦ .

(٥) سورة محمد / ١٦ إعراب الحديث النبوي، ص ٥٥ .



وفي حديث أبي ذر الغفاري «عرضت عليّ أمّتي بأعمالها حسنة وسيئة». قال أبو البقاء: «قوله بأعمالها في موضع نصب على الحال، أي معها أعمالها، أو ملتبسة بأعمالها» كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّمْ﴾، أي: وفيهم إمامهم، أو ومعهم<sup>(١)</sup>.

وفي حديثه «خلاف كل صلاة»: أي خلف كل صلاة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾، و﴿وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. وقد جاء استعمال «خلاف» في الحديث موافقاً لما ورد في القرآن، وهو مخالف للشائع من استعماله، إذ هو يستعمل مصدرأ للفعل خالف مجرداً من الدلالة الظرفية، فالخلاف المخالفة، وليس له في استعمالنا الدلالة المتمثلة فيما ورد في القرآن وفي الحديث. وفي حديث جندب بن عبد الله البجلي «قال رسول الله ﷺ: فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه».

قال أبو البقاء: «يجوز في يكبه ثلاثة أوجه، أحدها: ضم الباء على أنه مستأنف، أي هو يكبه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَفْتَلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَلَذَّابَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. والثاني: فتح الباء على أنه مجزوم معطوف على جواب الشرط... ودليل الجزم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. وكل ألفاظ الحديث مما ورد في القرآن، وفي الاستعمال العربي الفصيح، وردت الذمة في القرآن في موضعين: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾<sup>(٥)</sup> وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة/ ١٠).

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٦٤.

(٢) الإسراء/ ٧٦، إعراب الحديث النبوي، ص ٦٨.

(٣) آل عمران/ ١١١، إعراب الحديث النبوي، ص ٧.

(٤) سورة محمد/ ٣٨، إعراب الحديث النبوي، ص ٧١.

(٥) التوبة/ ١٨.

وجاء الفعل «كب» في موضعين أيضاً، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>، وبصيغة اسم الفاعل، في قوله: ﴿أَمَّنْ يَمِشَى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمِشَىٰ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث حبان بن بُح الصدائي «فجعل النبي ﷺ أصابعه في الإناء فانفجر عيوننا».

قال أبو البقاء: «عيوناً تميز وأصله فانفجرت عيون الإناء»، وهو مثل: تصيب عرقاً، ويجوز أن يكون المعنى فصار الإناء عيوناً مثل قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عَيْونًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث حذيفة بن اليمان «قلت يا رسول الله الهدنة على دخن ما هي؟ قال: ألا ترجع قلوب قوم على الذي كانت عليه».

قال أبو البقاء: «ترجع» هنا مرفوع، وفيها وجهان، أحدهما: هو مستأنف لا موضع للجملة... والثاني: هو في موضع رفع، أي: هي لا ترجع، ف(أن) هنا مخففة من الثقيلة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرْوَنَ الْأَرْجَحُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي حديثه «لو صلى فيه رسول الله ﷺ لكتب عليكم صلاة فيه، كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق».

قال أبو البقاء: «كتب في الموضعين بغير تاء، لأن الصلاة تأنيثها غير حقيقي، فيجوز تذكير الفعل وتأنيثه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) النمل/ ٩٠.

(٢) الملك/ ٢٢.

(٣) القمر/ ١٢، إعراب الحديث النبوي، ص ٧٢.

(٤) طه/ ٨٩، إعراب الحديث النبوي، ص ٧٧-٧٨.

(٥) يوسف/ ٣٠، إعراب الحديث النبوي، ص ٧٩.

ولم يصب أبو البقاء - رحمه الله - في استشهاده بالآية في هذا السياق، وذلك أن تأنيث الصلاة غير حقيقي كما قال، وتأنيث النسوة حقيقي، ثم إن الصلاة مفرد، والنسوة جمع تكسير، وجمع التكسير مؤنث للعاقل ولغير العاقل إذ نقول: حضر الرجال وحضرت الرجال، وعاد الجنود وعادت الجنود.

وعلى هذا فالأوفق في هذا الشأن أن يستشهد بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

والموعظة والبيينة أقرب إلى الصلاة في التأنيث والإفراد من النسوة.

وفي حديثه «من سن خيراً فاستن به كان له أجره ومن أجور من يتبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً».

قال أبو البقاء: «شيئاً منصوب، وفيه وجهان، أحدهما: هو واقع موقع المصدر كقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ والثاني أن يكون مفعولاً به...»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديثه «عرضت لي قبيل، قلت بلى».

قال أبو البقاء: «قبيل: تصغير قبل، ويراد بمثل هذا قرب الزمان، وهو مبني على الضم، كما أن مكبرة كذلك لقطعه عن الإضافة، ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ...﴾»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديثه «معه نهران يجريان، فإذا أدركنَّ واحدٌ منكم».

قال أبو البقاء: «إما ههنا مكسورة الهمزة لأنها إن الشرطية زيدت عليها «ما» وهو كقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾»<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة/ ٢٧٥.

(٢) الأنعام/ ١٥٧.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٧٩.

(٤) الروم/ ٤، إعراب الحديث النبوي، ص ٨٠.

(٥) الإسراء/ ٢٣، إعراب الحديث النبوي، ص ٨٠.

وهو يرى أن نون التوكيد لحقت بالفعل الماضي لأن معناه المستقبل.  
وفي حديث الحكم بن حزن الكلفي «قدمت إلى رسول الله ﷺ سابع سبعة، أو  
تاسع تسعة».

قال أبو البقاء: «الجيد النصب على الحال والمعنى أحد سبعة أو أحد تسعة كقوله  
تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي حديث رافع بن خديج «ما تعدون من شهد بدرأ؟ قالوا: خيارنا».

قال أبو البقاء: «ما ههنا اسم استفهام، والتقدير: أي قوم تعدون أهل بدر فيكم»  
وإنما استفهم هنا بـ(ما) لأنه أراد صفة من يعقل، فهو كقوله تعالى: ﴿وَأَلْمُحْصَنَاتُ مِنَ  
النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث زياد بن نعيم «أربعاً فرضهن الله».

قال أبو البقاء: «وقع في هذه الرواية بالنصب والتقدير: فرض الله أربعاً فأضمر  
الفعل الأول لدلالة الفعل الثاني عليه، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَمَرَ قَدْرَنَهُ مَنَازِلَ﴾ على  
قراءة من نصب، وكذا قوله: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث سلمة بن الأكوع «ألا أخبركم بأشد منه حرأ منه يوم القيامة».

قال أبو البقاء: «... أما أشد فهو هنا مفتوح لأنه لا ينصرف، وليس بمضاف، لأنه  
نصب حرأ بعده، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ و﴿وَأَشَدُّ قُوَّةً﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث الصنابحي: «قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب  
بعضكم بعضاً».

(١) التوبة/ ٤٠، إعراب الحديث النبوي، ص ٨٣.

(٢) النساء/ ٢٤، إعراب الحديث النبوي، ص ٨٨.

(٣) يس/ ٣٩، الإسراء/ ١٣، إعراب الحديث النبوي، ص ٩١.

(٤) البقرة/ ٢٠٠، غافر/ ٨٢، إعراب الحديث النبوي، ص ٩٩.

قال أبو البقاء: «... قوله يضرب إذا رفعتَه كان موضع الجملة نصباً صفة لـ «كفاراً»... ويجوز أن يروى «يضرب بالجزم على تقدير شرط مضمرة، أي إن ترجعوا كفاراً يضرب بعضكم بعضاً، ونظير هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾، بالرفع والجزم»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث أبي موسى الأشعري «قال والله إن قلتها».

قال أبو البقاء: «إن بكسر الهمزة، بمعنى «ما» هنا، أي ما قلتها، ولا فرق أن تكون بعدها «إلا» أو لم تكن، قال الله تعالى: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ يَهْدَا﴾ أي ما عندكم»<sup>(٢)</sup>.

وقول أبي البقاء: «ولا فرق أن تكون بعدها «إلا» أو لم تكن» يردُّ به على من يرى من النحويين أن «إن» النافية لا تكون في جمل مثبتة<sup>(٣)</sup>.

وقد جاءت «إن» نافية في سياق إثبات في خمسة مواضع في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِيْتِ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي حديثه «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن، فقال لهما: يسروا ولا تعسروا... الحديث».

قال أبو البقاء: «إن قيل: المخاطب اثنان فكيف قال يسروا على الجمع؟ قيل فيه أجوبة، أحدها أنه خاطب الاثنین بخطاب الجمع، لأن الاثنین جمع في الحقيقة، إذ الجمع

(١) مريم/٦، إعراب الحديث النبوي، ص ١٠٦.

(٢) يونس/ ٦٨ إعراب الحديث النبوي، ص ١٢٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس: ٦٥٧/١، وينظر النحويون والقرآن، ص ٣٦.

(٤) الأنبياء: ١٠٩.

(٥) فاطر/ ٤١.

ضم شيء إلى شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أُنْتَكِ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَظْ خَصْمَانِ ۖ﴾ (١).

وفي حديث عبد الله بن مسعود «فقال: يا رسول الله إن أحدنا رأى مع امرأته رجلاً».

قال أبو البقاء: «أحدنا مرفوع بفعل محذوف تفسيره رأى، ولا يكون مبتدأ؛ لأن إن الشرطية لا معنى لها إلا في الفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ ۖ﴾ ﴿إِنِ امْرَأَةٌ هَلَكَ ۖ﴾، و﴿وَإِنِ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ﴾ (٢).

وفي حديثه «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء».

قال أبو البقاء: «أفرد الضمير حملاً على لفظ «من» ثم جمعه على معناها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ۖ﴾، ثم قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ (٣).

وفي حديث أبي هريرة «فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى ما تحته».

قال أبو البقرة: ١١٢ لبقاء: «ما ههنا بمعنى (من)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ۖ﴾، وكقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ﴾ (٤).

والأولى أن يؤخذ ما في الحديث على ظاهره، لأنه عطف (ما) على (من) ولا بد أن يكون ذلك لقصد، وإلا فما الوجه في كون المعطوف (ما) والمعطوف عليه (من) في سياق واحد؟

وفي حديثه «من صام رمضان إيماناً واحتساباً...».

قال أبو البقاء: «في نصبه وجهان أحدهما: هو مصدر في موضع الحال، أي من صام مؤمناً محتسباً، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا ۖ﴾ أي ساعيات، والثاني: هو مفعول

(١) سورة ص / ٢٠، ٢١ إعراب الحديث النبوي، ص ١٢٣.

(٢) النساء / ١٢٨، النساء / ١٧٦، التوبة / ٦، إعراب الحديث النبوي، ص ١٢٦.

(٣) البقرة / ١١٢ إعراب الحديث النبوي، ص ١٢٨.

(٤) النساء / ٣، النساء / ٢٤ إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٢.

من أجله، أي: للإيمان والاحتساب، ونظيره في الوجهين: اعملوا آل داود شكراً<sup>(١)</sup>.  
وقد ورد البناء احتساب في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿فَأَنزَلْنَا لَهُمُ الْغُيُوبَ ۖ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اللَّهِ لَئِنْ أُنزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ لَقَالُوا آلَاءُ اللَّهِ وَإِن لَّا يَأْتِيَنَّاهُمْ سَاعَةً وَسَاعَةً ۖ وَكَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الْوَحْشَةَ وَالنَّجْمَ سُبُحًا ۗ﴾<sup>(٣)</sup>، فالأصل والبناء موجودان في القرآن.

وفي حديثه: «... فقال لنا رسول الله ﷺ: مكانكم».

قال أبو البقاء: «وهذا الاسم نائب عن الأمر، أي: الزموا مكانكم وقفوا، كقوله تعالى: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>».

وفي حديثه «عليك السمع والطاعة».

قال أبو البقاء: «بالرفع على أنه مبتدأ، وما قبله الخبر، وهذا لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أي اسمع وأطع على كل حال، وإن جاء في بعض الروايات منصوباً، فهو على الإغراء، كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>».

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري «فإن كانوا في القراءة سواء».

قال أبو البقاء: «سواء خبر كان والضمير اسمها، وأفرد (سواء) لأنه مصدر، والمصدر لا يجمع ولا يثنى، ومنه قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ، وفي قوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً﴾ والتقدير: مستويين ومستويات، ووقع المصدر موضع اسم الفاعل<sup>(٦)</sup>».

وفي حديث علي بن أبي طالب عليه السلام «أن هذه أيام أكل وشرب فلا يصومها أحد».

(١) سبأ/ ١٣ إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٩.

(٢) الطلاق/ ٣.

(٣) الحشر/ ٢.

(٤) يونس/ ٢٨، إعراب الحديث النبوي، ص ١٤٤.

(٥) المائدة/ ١٠٥، إعراب الحديث النبوي، ص ١٤٨.

(٦) إعراب الحديث النبوي، ص ١٥٣.

قال أبو البقاء: «كذا وقع في هذه الرواية، والوجه: فلا يصمها أو: فلا يصومئها، ووجه هذه الرواية أن تضم الميم، ويكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ و﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عمار بن ياسر «ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين».

قال أبو البقاء: «رجلين منصوب على التمييز، كما تقول: هذا أشقى الناس رجلاً، وجاز تشيته وجمعه، مثل قوله تعالى: ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث عمران بن حصين «وكان آخر ذلك أن أعطى».

قال أبو البقاء: «آخر بالنصب أقوى على أنه خبر كان مقدم، وأن أعطى في موضع رفع اسم كان؛ لأن (أن) والفعل أعرف من الاسم المفرد، ويجوز رفع (آخر) ونصب (أن أعطى) لأن كليهما معرفة، وقد جاء القرآن بهما نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ بالرفع والنصب»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث كعب بن مالك وتوبته «والله ما زال يبكي لذن أن كان من أمرك ما كان».

قال أبو البقاء: «لذن مبنية على السكون، وهي بمعنى عند الملاصقة للشيء؛ وقد قال تعالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ وهي مضافة إلى ما بعدها»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث معاذ بن جبل «أتيت رسول الله أطلبه فقيل لي: خرج قبل».

قال أبو البقاء: «قبل: هنا مبنية على الضم؛ لأنها قطعت عن الإضافة، ومثله قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة/٢٢٨، ٢٣٣، إعراب الحديث النبوي، ص ١٥٥.

(٢) الكهف/١٠٣، إعراب الحديث النبوي، ص ١٥٧.

(٣) الأعراف/٨٢، إعراب الحديث النبوي، ص ١٦٢.

(٤) النمل/٦، آل عمران/٨، إعراب الحديث النبوي، ص ١٦٨.

(٥) الروم/٤، إعراب الحديث النبوي، ص ١٧٥.



وفي حديث يزيد بن الأخنس «فيقول رجل: لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلاناً فأقوم به كما يقوم به».

قال أبو البقاء: «فأقوم بالنصب؛ لأنه جواب لو، وهي: ههنا للتمي كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَتَاكَ لَنَاكِرَةٌ فَتَتَّبِعْتَهَا مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي حديث أبي بهيسه الفزاري «يا نبي الله ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ قال النبي ﷺ: أن تفعل الخير خيراً لك».

قال أبو البقاء: «أن مفتوحة الهمزة، وهي مصدرية، وموضعها وموضع الفعل: رفع بالابتداء و(خير) خبره، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا مما استشهد به أبو البقاء من القرآن لما تمثل في الحديث من الأحكام في النحو واللغة، وقد جاء ما في الأحاديث موافقاً لما في كلام الله تعالى من وجوه الإعراب وفي دلالات الأسماء والأفعال.

وما كان من كلام الأعاجم والمولدين لا يستشهد له بما يتمثل في القرآن من وجوه الإعراب التي تتأتى بمقتضى ما يلزمه السياق.

(١) البقرة/١٦٧، إعراب الحديث النبوي، ١٨١.

(٢) البقرة/١٨٤، إعراب الحديث النبوي، ص ١٨٢.

## ما استشهد به أبو البقاء العكبري من الشعر

### للحديث الشريف

واستشهد أبو البقاء العكبري للحديث النبوي الشريف بشواهد من الشعر ليوثق بها ما تمثل فيه من الأحكام.

ومما أثبتته أبو البقاء من الأحاديث في كتابه «إعراب الحديث النبوي» قول النبي ﷺ: «إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة».

فاستشهد بنصب «آل» على الاختصاص بالشاهد النحوي لهذا الموضع وهو قول الراجز: نحن بني ضبة أصحاب الجمل<sup>(١)</sup>.

وقد استشهد به السيوطي في كتابه «همع الهوامع»، وهو القائل إنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية لأنه مروى بالمعنى، لا بلفظ الرسول والأحاديث رواها العجم والمولدون<sup>(٢)</sup>.

واستشهد أبو البقاء لما جاء في حديث أنس بن مالك «لو استشفعنا على ربنا» بقول القحيف بن سليم العقيلي:

إذا رضيت عليّ بني قشير  
لعمر أيبك أعجبي رضاها<sup>(٣)</sup>

وهو من شواهد السيوطي أيضاً<sup>(٤)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٧.

(٢) همع الهوامع: ١٠٥/١.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٢١.

(٤) همع الهوامع: ٢٨١/٢.

وجاء في حديث أنس «... فإذا وجدتهما راقدين وقفت على رؤوسهما كراهية أن أرد سنتهما في رؤوسهما حتى يستيقظان».

فاستشهد أبو البقاء لمجيء الفعل مرفوعاً بعد حتى بقول الشاعر:

أن تقرأن على أسماء مني السلام والأخبار

وهو لا يصلح شاهداً لهذا الموضع، فالضرورة ظاهرة فيه، إذ أثبت النون حين احتاج إليها لإقامة الوزن، وحذفها في الشطر الثاني حين استقام الوزن دونها وهو من شواهد النحويين لمجيء (أن) الناصبة غير عاملة<sup>(٢)</sup>.

واستشهد للبدل من ضمير الرفع المتصل، وقد جاء في الحديث «من كن له ثلاث بنات» بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَكَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُم﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(٤)</sup> وبقول الشاعر:

يلوموني في اشتراء النخيل كل قومي ولومهم ألوم<sup>(٥)</sup>

وقول الفرزدق:

ولكن ديا في أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط

وهما من الشواهد النحوية لهذا الموضع<sup>(٦)</sup>.

وذكر الحديث «ما من رجل مسلم يموت له ثلاثة من ولده لم يبلغوا الحنث إلا أدخل الله ﷻ أبويهم الجنة بفضل رحمته إياهم».

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٣.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٩٦.

(٣) المائدة/ ٧١.

(٤) الأنبياء/ ٣.

(٥) و (٦) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٠.

(٧) معجم شواهد العربية، ص ٣٥٨ وص ٤٢.

فحملة أبو البقاء على وضع الظاهر موضع المضمرة، واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ  
مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ويقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت      نعص الموت ذا الغنى

والشاهد لا يوافق ما في الآية ولا ما في الحديث، فقد كرر الشاعر «الموت»  
للضرورة، إذ لا يستقيم الوزن لديه إذ قال: «لا أرى الموت يسبقه شيء، ولا وجه  
لحمل النثر على الشعر في موضع ضرورة.  
وهو من شواهد النحو<sup>(٣)</sup>.

وجاء في الحديث «كل دم يفوح مسكاً».

فاستشهد لنصب (مسكا) على التمييز بقوله تعالى: ﴿إِن طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ

نَفْسًا﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿وَصَاقَ بِهِمْ دَرْعًا﴾<sup>(٥)</sup> ويقول الشاعر:

تضوع مسكاً بطن نعمان إن      به زينب في نسوة عطرات<sup>(٦)</sup>

واستشهد للحديث فجعلن ينزغن حليهن وقلائدهن وقرطتهن وخواتمهن يقذفون  
به في ثوب بلال يتصدقن به». وقد جاء فيه الضمير في (به) مذكراً في الموضعين، وهو  
عائد على الحلبي قبله، فحمل أبو البقاء التذكير فيه على معنى الشيء المذكور،  
واستشهد بقول الخطيئة:

لزغب كأفراخ القطارات      على عاجزات النهض حمر

(١) يوسف / ٩٠.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ٣٢.

(٣) معجم شواهد العربية، ص ١٤٦.

(٤) النساء / ٤.

(٥) العنكبوت / ٣٣.

(٦) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٢.

وقول الآخر:

مثل الفراخ نتقت حواصله<sup>(١)</sup>.

ولا وجه لهذا الاستشهاد، إذ الضرورة ظاهرة في الشاهدين، فلا يستقيم الوزن إذا قيل فيهما (حواصلها) مع قافية اللام المرفوعة والهاء في القصيدة، وهما من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>.

وجاء حذف كان واسمها في قول النبي ﷺ «... ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً»، يريد بـ(ظالماً) منعه من الظلم، فاستشهد أبو البقاء بقول ليلى الأخيلية:

لا تقرين الدهر آل مطرف إن ظالماً فيهم وإن مظلوماً<sup>(٣)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٤)</sup>.

وذكر أبو البقاء قول النبي ﷺ: «من يكلؤنا الليلة لا نرقد عن صلاة الفجر». برفع الفعل «نرقد»، وهو جواب شرط جازم، وحمل الرفع فيه على حذف الفاء، واستشهد له بقول حسان بن ثابت:

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان<sup>(٥)</sup>

ورفع الفعل «يشكرها» في هذه الرواية ليس نظيراً لرفع «يرقد» في الحديث، لأن «يشكرها» ليس جواب الشرط الجازم، وإنما هو خبر المبتدأ، والجواب: الله يشكرها وقد جاء بيت حسان في رواية أخرى «فالرحمن يشكره»، إلا إذا كان يريد أن حذف الفاء مؤد إلى رفع الجواب اسماً أو فعلاً.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٦.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٢٨٦، وص ٥٢٢.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٤.

(٤) معجم شواهد العربية، ص ٣٣٦.

(٥) إعراب الحديث النبوي، ص ٥٢، معجم شواهد العربية، ص ٤٠٢.

وقد جاء في القرآن جواب الشرط الجازم مرفوعاً مع اقترانه بالفاء، في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث «من خير ذي يمن». فرأى أبو البقاء أن «ذي» فيه زائدة، واستشهد بقول الكميت:

إليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظمء وألببُ

وقول الشماخ:

أطار نسيله عنه جفالا وأدمج دمج ذي شطن بديع<sup>(٣)</sup>

وهما من شواهد النحو<sup>(٤)</sup>.

وجاء في قول النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري: «يا أبا ذر هل تدري فيما تنتطحان»، ولم تحذف فيه ألف (ما) الاستفهامية مع اقترانها بحرف جر. فذكر أبو البقاء أن نظيره في الشعر قول حسان بن ثابت:

على ما قام يشتمني لثيم كخنزير تمرغ في دمان<sup>(٥)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٦)</sup>.

وذكر قول الصحابي: «يا رسول الله: أحد خير منا».

(١) البقرة/١٢٦.

(٢) المائدة/٩٥، وينظر النحويون والقرآن، ص ٢٣٩.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٥٦.

(٤) معجم شواهد العربية، ص ٣٥ وص ٢٣٢.

(٥) إعراب الحديث النبوي، ص ٦٩.

(٦) معجم شواهد العربية، ص ٤٠٦.

وحمله على تقدير: هل أحد خير منا، أو أحد، وشاهده عند النحويين قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا تجها قلت بهراً  
عدد القطر والحصى  
وهو من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>.

وذكر الحديث «الحمى من فور جهنم فابردها بالماء».

ورأى أن الصواب وصل همزة «ابردها» وضم الراء، وماضيه (برد) وهو متعد واستشهد بقول مالك بن الريب:

وعطل قلوصي في الركاب  
ستبرد أكباداً وتبكي

وجاء في الحديث «لا يتعاطى أحدكم أسير أخيه فيقتله، وحمله على أنه نفي في اللفظ وهو نهي في المعنى، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ واستشهد له بقول الراجز:

إذا العجوز غضبت فطلق  
ولا ترضأها ولا تملق<sup>(٣)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٥)</sup>.

وأورد أبو البقاء الحديث «قلت يا نبي الله: أو نبي كان آدم».

فقال: «وقع في هذه الرواية (نبي كان آدم) بالرفع، والوجه النصب على أنه خبر كان وادم اسم كان».

ثم قال: «وللرفع وجه، وهو أن يكون جعل (كان) زائدة أي: أنبي آدم<sup>(٦)</sup>».

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٧٥.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٦٧.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٨٧.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١٠١.

(٥) معجم شواهد العربية، ص ٥٠٨.

(٦) إعراب الحديث النبوي، ص ١٠٤.

ولا وجه لزيادتها، فهي مرادة في موضعها، والسياق ماضٍ والكلام نثر، والأشبه أن يُحمل رفع «ني» على وهم السائل أو الراوي، أو على عدم إعمال «كان» كما في قول القائل:

إذا مت كان الناس صنفان شامت      وآخر مثن بالذي كنت أصنع  
وقول الآخر:

إذا ما المرء كان أبوه عبس      فحسبك ما تريد من الكلام  
ولا ضرورة في رفع خبر «كان» في الشاهدين، وهما من شواهد سيبويه<sup>(١)</sup>.  
واستشهد أبو البقاء للحديث بقول الشاعر:

فإنك لا تبالي بعد حول      أظبي كان أمك أم حمار<sup>(٢)</sup>  
ومثل هذا لا يصلح شاهداً لما هو نثر، إذ لولا الضرورة لقال: أظيباً كانت أمك أم حمار، وهو من شواهد سيبويه، ونسب فيه إلى خدّاش بن زهير<sup>(٣)</sup>.  
وجاء في حديث عبد الله بن عباس «وأنا أخشى أن يكون بي جُنن».

فقال أبو البقاء في توجيهه «أصل هذا: الجنون بالواو، فحذف الواو تخفيفاً، ولدلالة الضمة عليها، واستشهد بقول الشاعر:  
مثل النعامة كانت وهي سائلة      أذناء حتى زهاها الحين والجنن<sup>(٤)</sup>

ولا ريب أن ورود (الجنن) في نثر مما يبعد احتمال الضرورة في الشاهد.  
وذكر أبو البقاء قول عبد الله بن مسعود «فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما».

(١) الكتاب: ٧١/١، ٣٩٤/٢.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ١٠٤.

(٣) الكتاب: ٤٨/١.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١١٣.



فقال في توجيهه: «القياس «قبريهما» ولكنه جمع، إما لأن التثنية جمع، وإما لأنه جمع كل ناحية من نواحي القبر».

واستشهد بقول امرئ القيس:

يزل الغلام الخف عن سهواته      ويلوي بأثواب العنيف المثقل<sup>(١)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الحديث «حتى أجمعوا قتله».

فاستشهد أبو البقاء لتعدي الفعل «أجمع» بقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ويقول الحارث بن حلزة:

أجمعوا أمرهم بليل فلما      أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء<sup>(٤)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٥)</sup>.

وأورد الحديث «فأمسكوا عن الصوم حتى يكون رمضان».

واستشهد لمجيء كان تامة فيه بقول الشاعر:

إذا كان الشتاء فأدفتوني      فإن الشيخ يهرمه الشتاء<sup>(٦)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٧)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٢٧.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٣٠٥.

(٣) يونس / ٧١.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٥.

(٥) معجم شواهد العربية، ص ٢٣.

(٦) إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٧.

(٧) معجم شواهد العربية، ص ٢٠.

وذكر قول رسول الله ﷺ: «... وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما»  
على تقدير «لقد أخرجني».

واستشهد لهذا الضرب من الحذف بقول امرئ القيس:

حلفت لما بالله حلفة فاجر      لناوما فما من حديث ولا صال<sup>(١)</sup>  
وهو من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أن ورود هذا الحذف في الحديث مما ينفي احتمال الضرورة فيه، وقد  
ورد نظيره في حديث آخر، وهو قول امرأة من غفار: «فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى  
الصباح فأناخ»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في الحديث «نعم المنيحة اللقحة منيحة».

وقد تضمن ذكر التمييز بعد فاعل (نعم) واستشهد له أبو البقاء بقول جرير:

تزود مثل راد أبيك فينا      فنعم الزاد زاد أبيك زادا<sup>(٤)</sup>  
وقد منع سيبويه الجمع بين فاعل نعم والتمييز، وأجازه المبرد<sup>(٥)</sup>.

والحديث شاهد على جوازه في النثر.

هذا مما وثق به أبو البقاء العكبري ما ورد في الحديث الشريف من الأحكام  
بالشواهد الشعرية، التي هي أوثق عند النحويين من الحديث الشريف للاستشهاد بها لما  
هو نثر من الكلام.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٩.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٣٠٩.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٠٥.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١٤٢.

(٥) المقتضب: ٢/ ١٥٠ وابن يعيش: ٧/ ١٣٢.

## ما استشهد به ابن مالك من القرآن

### للحديث الشريف

ذكر ابن مالك قول ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم»<sup>(١)</sup>.

فراى أن «إذ» فيه جاءت موافقة لـ(إذا) في الدلالة على الاستقبال فقال: «وقوله إذ يخرجك قومك استعمال فيه «إذ» موافقة لـ(إذا) في إفادة الاستقبال، وهو استعمال صحيح غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَذْقَانِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٠) إِذِ الْأَغْطَالُ فِي آعْتَقِهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الحديث أن «بعض الصحابة ﷺ سئل: كم اعتمر النبي ﷺ؟ فقال: أربع»<sup>(٣)</sup>. وذكر ابن مالك أن الحديث ورد في روايتين «في بعض النسخ برفع أربع وفي بعضها بالنصب».

فقال موجهاً رواية الرفع: «قلت: الأكثر في جواب الاستفهام بأسمائه مطابقة اللفظ والمعنى، وقد يكتفى بالمعنى في الكلام الفصيح»... ومن مطابقة المعنى وحده قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ بعد (من) الثانية والثالثة، في قراءة غير أبي عمرو».

وهو يشير هنا إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٥٩.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٦٢، ٦٣.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩٠.

وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿١﴾، إذ لم يأت الجواب موافقاً للفظ، وإنما هو موافق للمعنى.

وذكر ابن مالك أن وقوع المبتدأ نكرة بعد واو الحال مما أدخل به النحويون واستدل على ذلك بالحديث «ودخل رسول الله وبرمة على النار، وبالحديث «فدخل وحبل ممدود»<sup>(٢)</sup>.

واستشهد ابن مالك على ما جاء في الحديثين بقوله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتمام الآية ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾.

وطائفة الثانية مرفوعة على الابتداء بعد واو الحال.

وجاء في قول أبي برزة رضي الله عنه: «غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم... سبع غزوات أو ثماني».

قال ابن مالك: «قلت الأجود أن يقال: سبع غزوات أو ثمانيًا، بالتنوين؛ لأن لفظ ثمان، وإن كان كلفظ «جوار» في أن ثالث حروفه ألف بعدها حرفان ثانيهما ياء، فهو يخالفه في أن جواربي، جمع «وثمانيا» ليس بجمع، واللفظ بهما في الرفع والجر سواء، ولكن تنوين «ثمان» تنوين صرف كتنوين «يمان»، وتنوين جوار تنوين عوض»<sup>(٤)</sup>.

ثم قال: «ومع هذا ففي قوله: «أو ثماني» بلا تنوين ثلاثة أوجه، أحدها وهو أجودها أن يكون أراد أو ثماني غزوات، ثم حذف المضاف إليه وأبقى المضاف على ما

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ٩.

(٢) المؤمنون: ٨٦-٨٩.

(٣) آل عمران/ ١٥٤.

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠١.

كان عليه قبل الحرف، وحسن الحذف دلالة ما تقدم من مثل المحذوف، ومثله قول الشاعر:

خمس ذود أو ست عوضت منها      مئة غير أبكر وإفال

وهذا من الاستدلال بالمتقدم على المتأخر، وهو في غير الإضافة كثير، كقوله تعالى: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾ والأصل والحافظات فروجهن، والذاكرات الله كثيراً<sup>(١)</sup>.

ولقد كان الأجدر بابن مالك الاكتفاء بالشاهد القرآني، إذ الضرورة ظاهرة في عدم تنوين «ست»: فلا مشابهة بين ثماني و«ست»، في حين أن ثماني تشبه جوارى في اللفظ والمعنى.

وقد ذكر ابن مالك هذا، في الوجه الثاني، إذ قال: «الوجه الثاني أن تكون الإضافة غير مقصودة، وترك تنوين «ثمان لمشابهته «جوارى» لفظاً ومعنى».

وأحكام الإعراب قد تجري على الشبه اللفظي وحده، أو على الشبه المعنوي وحده، وقد اجتمع في (ثماني) الشبهان لـ(جوارى).

وذكر ابن مالك قول رسول الله ﷺ: «إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً...».

فقال: «قلت: تضمن هذا الحديث العطف على ضمير الجر بغير إعادة الجار، وهو ممنوع عند البصريين إلا يونس وقطربا والأخفش، والجواز أصح من المنع لضعف احتجاج المانعين، وصحة استعماله نظماً»<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن أبطل احتجاج المانعين قال: «ومن مؤيدات الجواز قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ»

(١) الأحزاب/ ٣٥، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٢.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٧.

وَأَلْمَسِجِدِ الْحَرَامِ ﴿ فجر المسجد بالعطف على الهاء المجرورة بالباء لا بالعطف على سبيل، لاستلزامه العطف على الموصول وهو الصد قبل تمام صلته».

ثم قال: «ومن مؤيدات الجواز قراءة حمزة: «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» بالخفض، وهي أيضاً قراءة ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والنخعي والأعمش ويحيى بن وثاب وأبي رزين... وأجاز الفراء أن يكون ﴿ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴾ معطوفاً على لكم فيها معاش»<sup>(١)</sup>.

وأثبت قول النبي ﷺ: «وعذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار» دليلاً على مجيء حرف الجر «في» للتعليل، فقال: «قلت: تضمن هذا الحديث استعمال «في» دالة على التعليل، وهو مما خفي على أكثر النحويين، مع وروده في القرآن والحديث والشعر القديم، فمن الوارد في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ وَكَوَلَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ تَوَلَّوْا كَتَبٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأردف ذلك بعدد من شواهد الشعر.

وقال ابن مالك: «ومنها قول رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء».

وذكر أن وقوع التمييز بعد (مثل) إنما هو نظير قوله تعالى: ﴿ وَكَوَلَّوْا جِثْنًا بَيْمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ ورأى أن (لا) في قوله ﷺ: «أن لا يمر علي ثلاث» زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْ تَسْجُدَ ﴾ أي ما منعك أن تسجد، لأنه امتنع عن ثبوت السجود، لا من انتفائه، وكذا ما يسرني أن لا يمر، معناه، ما يسرني أن يمر، ولا زائدة<sup>(٤)</sup>.

(١) الحجر/ ٢٠، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٩.

(٢) النور/ ١٤.

(٣) الانفال/ ٦٨، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٣.

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٨.

وذكر قول النبي ﷺ: «ولكن خوة الإسلام».

فقال: «قلت الأصل: «ولكن أخوة الإسلام» فنقلت حركة الهمزة إلى النون، وحذفت الهمزة على القاعدة المشهورة...»، ثم قال وشببه بـ«خوة الإسلام في تخفيفه مرتين وحذف همزته لفظاً وخطأً قوله تعالى: ﴿لَنِكَتًا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾».

وأورد ابن مالك قول النبي ﷺ: «أسرعوا بالجنابة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليها، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم».

فقال: «قلت موضع الإشكال في هذا الحديث قوله فخير تقدمونها إليها، فأنث الضمير العائد على الخير وهو مذكر، فكان ينبغي أن يقول: فخير تقدمونها إليه، لكن المذكر يجوز تأنيثه إذا أول بمؤنث، كتأويل الخير الذي تقدم إليه النفس الصالحة بالرحمة أو بالحسنى أو باليسرى، كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَى﴾<sup>(١)</sup> وكقوله تعالى: ﴿فَسَيَبْرَهُمُ الْيَسْرَى﴾<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن مالك أن الحسن أو الحسين عليهما السلام أخذ تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه وقال: «أما علمت، وفي بعض النسخ: ما علمت».

فقال: قلت لا إشكال في هذا الحديث إلا في رواية من روى: ما علمت... فأصله أما علمت، وحذفت الهمزة لأن المعنى لا يستقيم إلا بتقديرها».

ثم قال: «وقد كثر حذف الهمزة إذا كان المعنى ما حذفت منه لا يستقيم إلا بتقديرها كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْ﴾ قال ابن جني وغيره: أراد: أو تلك نعمة؟، ومن ذلك قراءة ابن محيصن «سواء عليهم أنذرتهم» بهمزة واحدة، ومثله قراءة أبي جعفر: «سواء عليهم أستغفرت لهم» بهمزة وصل»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكهف/٣٨، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٤٢.

(٢) يونس/٢١، الليل/٧، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٤٣.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٤٦.

وأورد ابن مالك قول علي عليه السلام: «كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، وقول عمر رضي الله عنه: كنت وجار لي من الأنصار».

وقال: «تضمن الحديثان صحة العطف على ضمير الرفع المتصل غير مفصول بتوكيد أو غيره، وهو ما لا يميزه النحويون في النثر إلا على ضعف، ويزعمون أن بابه الشعر، والصحيح جوازه نثراً ونظماً، فمن النثر ما تقدم من قول علي وعمر رضي الله عنهما، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا﴾ فإن واو العطف فيه متصلة بضمير المتكلمين، ووجود «لا» بعدها لا اعتداد به، لأنها بعد واو العطف، ولأنها زائدة، إذ المعنى تام بدونها»<sup>(١)</sup>.

وابن مالك يرد هنا على النحويين الذين يعدون وجود (لا) النافية مما يسوغ عطف الاسم الظاهر على ضمير الرفع المتصل غير مفصول بتوكيد أو غيره<sup>(٢)</sup>. وذكر ابن مالك قول البراء رضي الله عنه: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان أخذ بزمامها»<sup>(٣)</sup>.

فقال وليس في حديث البراء إلا وقوع إن بعد واو الحال، وهو أحد المواضع التي يستحق فيها كسر «إن»، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وأورد ابن مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يجل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يجل لامرأة تسأل طلاق أختها» شاهدين على

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٧٤.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٣٧.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٠٥.

(٤) الأنفال/ ٨، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٠٨.



حذف «أن» والاكتفاء بصلتها إذ قال: «أراد: أن تحذ، وأن تسأل» وهما عنده نظير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد دلّ ذكرها في المواضع المماثلة في القرآن على إرادتها عند حذفها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن مالك: «وفي قول الأشعث ؑ: لفي والله نزلت» شاهد على توسط القسم بين جزأي الجواب، وعلى أن اللام يجب وصلها بمعمول الفعل الجوابي المقدم وخلو الفعل منها ومن قبول «قد» إذا كان ماضياً، كما يجب خلو المضارع منها ومن قبول نون التوكيد إذا تقدم معموله، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ مُتَّمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وذكر قول النبي ﷺ: «قوموا فلا أصل لكم».

فقال: «وأمر المتكلم نفسه بفعل مقرون باللام فصيح قليل في الاستعمال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن مالك: «وقول الراوي: وكان شريح يأمر الغريم أن يجبس إلى سارية المسجد» فرأى فيه أن «إلى» جاءت بمعنى «مع»، إذ قال: «وإلى في قوله: إلى سارية المسجد بمعنى «مع»، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الروم/ ٢٤، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢١٢.

(٢) الروم / ٢٠، و ٢٥.

(٣) الروم/ ٤٦، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢١٢.

(٤) آل عمران/ ١٥٨، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٥.

(٥) العنكبوت/ ١٢، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٤٣.

(٦) النساء/ ٢، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٥٣.

---

وأورد قول النبي ﷺ: «من قُتل في سبيل الله فهو شهيد... ومن مات من الطاعون فهو شهيد» ومن مات في البطن فهو شهيد.

وذكر أن معنى (في) في الموضعين «في الطاعون» و«في البطن» السببية فهي فيهما بهذا المعنى كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ابن مالك: «وفي قول أبي موسى» أتينا النبي ﷺ نفرًا شاهد على ما ذهب إليه الأخفش من جواز أن يبدل من ضمير الحاضر بدل كل من كل فيما لا يدل على إحاطة، وعليه حمل الأخفش قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهو موافق للأخفش فيما ذهب إليه وفيما استشهد به من القرآن.

وهذا كله يظهر مدى التوافق بين ألفاظ الحديث الشريف وما ورد في كلام الله تعالى. وألفاظ الأعاجم والمولدين لا يستشهد لها بشواهد من القرآن.

---

(١) الأنفال/٦٨، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٣، ص ٢٦٥.

(٢) الأنعام/١٢، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٦١.

## ما استشهد به ابن مالك من الشعر

### للحديث الشريف

جاء في الحديث قول النبي ﷺ: «أو مخرجي هم».

فراى ابن مالك أن الإبدال في «مخرجي» نظير ما جاء في قول الشاعر:

أودى بني وأودعوني حسرة      عند الرقاد وعبرة ما تفلح<sup>(١)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>.

والتشابه بين «مخرجي»، و«بني» يقتصر على الظاهر من هذا الضرب من الإبدال، فاللفظان مختلفان، أحدهما مشتق تطرد فيه صورة هذا الإبدال والآخر لا يماثله، فلا يطرد فيه ذلك.

وقال النبي ﷺ: «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

وفعل الشرط فيه مضارع والجواب ماض لفظاً لا معنى، وهو مما يجيزه ابن مالك خلافاً للنحويين، إذ قال: «والنحويون يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، والصحيح الحكم بجوازه مطلقاً، لثبوته في كلام أفصح الفصحاء، وكثرة صدوره عن فحول الشعراء، كقول نهشل بن ضمرة:

يا فارس الحي يوم الروع قد      ومدره الخصم لا نكسا ولا ورعا

ومدرك التبل في الأعداء يطلبه      وما يشأ عنده من تبلهم منعا

وكقول أعشى قيس:

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٦٥.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٢٢٧.

وما يرد من جميع بعدُ فرقه

وما يرد بعدُ ذي فرقة جمعا

وكقول حاتم:

وإنك مهما تعط بطنك سؤله

وفرجك نالا متهى لا متهى الدم

وهو من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>.

وأردف هذه الشواهد بستة شواهد أخرى للتدليل على كثرته في الشعر، فضلاً عن وروده في «كلام أفصح الفصحاء».

واستدل لما يرجح هذا الاستعمال في الحديث بحجة من كلام الله تعالى، إذ قال: «ومما يؤيد هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وبين ذلك قائلاً: «فعطف على الجواب الذي هو نزل «ظلت» وهو ماضي اللفظ، ولا يعطف على الشيء غالباً إلا ما يجوز أن يحل محله، وتقدير حلول «ظلت» محل نزل: إن نشأ ظلت أعناقهم لما نزل خاضعين»<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا القدر الذي ذكره من الشواهد، والحجة من كلام الله تعالى ما يوثق هذا الاستعمال ويرجح إباحته.

وليس في هذا النحو من التعبير أي إخلال، بل إن فيه وجهاً من حسن البيان، فحين تقول لأخيك: إن تُنجز ما كلفتك به كافاتك، يكون في ذكر الماضي بعد المضارع تأكيد للجواب، كما هو الشأن في مواضع ذكر الماضي الظاهر من السياق وقوعه في المستقبل.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٦٧-٦٨.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٢٠٩.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٦٨-٦٩.

(٤) الشعراء/٤.

وهذا ما دل عليه قوله ﷺ «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» .

وذكر ابن مالك قول النبي ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا». فقال: «وجعل الكلام خبراً بمعنى النهي جائز، وأكثر ما يُجرى المعتل مجرى الصحيح فيما آخره ياء أو واو، فمن ذلك قراءة قنبل «إنه من يتقي ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين»<sup>(١)</sup>.

واستشهد بقول الشاعر، وهو من شواهد سيبويه<sup>(٢)</sup>:

لم يأتيك والأنباء تنمى      بما لاقت لبون بني زياد  
وقول الآخر:

هجوت زيان ثم جئت      من هجو زيان لم تهجو ولم تدع  
وهو من شواهد النحو<sup>(٣)</sup>.

ثم قال: «وهي لغة معروفة، أعني إشباع الحركات الثلاث وتوليد الأحرف الثلاثة بعدها»<sup>(٤)</sup>.

وسئل أحد الصحابة: كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ فأجاب: أربع، وفي رواية: أربعاً. فحمل ابن مالك رواية الرفع على حذف المضاف إليه، على تقديره: أربع عُمَر<sup>(٥)</sup>، واستشهد لهذا الضرب من الحذف يقول الأعشى، وهو من شواهد سيبويه<sup>(٦)</sup>:

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٧٣.

(٢) الكتاب: ٣/٣١٦.

(٣) معجم شواهد العربية، ص ٢٣٠.

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٧٤.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩٠.

(٦) الكتاب: ١/٣٢٤، ومعجم شواهد العربية، ص ١٩١.

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقته الفاخر

أراد سبحان الله ، وقول الآخر :

سقى الأرضين الغيث سهل فنيطت عرى الآمال بالزرع

وهو من شواهد النحو<sup>(١)</sup>.

وأورد ابن مالك قول رسول الله ﷺ: «وأيم الله كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي».

وقول نافع كان ابن عمر يعطي عن الصغير والكبير، حتى إن كان يعطي عن بني<sup>(٢)</sup>.

وقد تضمّن الحديثان استعمال «إن» المخففة غير العاملة مجردة من اللام الفارقة لعدم الحاجة إليها، فاستشهد لهذا الضرب من استعمالها بقول الطرماح:

أنا ابن أباة الضيم من آل وإن مالك كانت كرام المعادن

وقول الآخر:

إن كنت قاضي نحبي يوم لو لم تمنوا بوعد بعد توديع

وهما من شواهد النحو<sup>(٣)</sup>.

ووقف ابن مالك على قول رسول الله ﷺ: «إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) شواهد العربية، ص ٢٢٩.

(٢) معجم شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٥.

(٣) معجم شواهد العربية، ص ٢٣١ و ص ٣.

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٧.

وقد تضمن «العطف على ضمير الجر بغير إعادة الجار، وهو ممنوع عند البصريين إلا يونس وقطربا والأخفش».

وقال سيويه: «قد يجوز في الشعر»<sup>(١)</sup> واستشهد له ابن مالك بقول الشاعر:  
فاليوم قربت تهجوننا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

وهو من شواهد سيويه، وأردفه ابن مالك بخمسة شواهد أخرى.  
وفي زماننا استعمل شاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري هذا الوجه من العطف في قوله:

يوم الشهيد تحية وسلام بك والنضال تؤرخ الأعوام

وذكر ابن مالك قول الصحابية «أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين»<sup>(٢)</sup>.

وقد أضيف فيه (يوم) مفرداً إلى مثني.

فاستشهد له بقول توبة بن الحمير:

حماسة بطن الواديين ترثمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها<sup>(٣)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٤)</sup>.

وأورد قول النبي ﷺ: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار»<sup>(٥)</sup>.

وقد تضمن استعمال (في) دالة على التعليل.

(١) الكتاب: ٣٨٢/٢.

(٢) الكتاب: ٣٨٣/٢.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١١٥.

(٤) معجم شواهد العربية، ص ١٥٩.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٣.

واستشهد لـ (في) بهذا المعنى بقول جميل بثينة:

فليت رجالاً فيك قد نذروا      وهموا بقتلي يا بثين

وبقول أبي خراش:

لوى رأسه عني ومال بوده      أغانيج خود كان فينا

وتكلم ابن مالك على حذف الموصول وبقاء صلته، ثم قال: «وحذف الموصول لدلالة صلته عليه مما انفرد به الكوفيون ووافقهم الأخفش، وهم مصيبون».

ثم قال: «وأحسن ما يستدل به على هذا الحكم قوله ﷺ: «مثل المهجر كالذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة ثم بيضة» فإن فيه حذف الموصول وأكثر الصلة ثلاث مرات؛ لأن التقدير: ثم كالذي يهدي كبشاً، ثم كالذي يهدي دجاجة، ثم كالذي يهدي بيضة»<sup>(١)</sup>.

وذكر من دلائل إصابتهم قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> والأصل: بالذي أنزل إلينا وبالذي أنزل إليكم، لأن الذي أنزل إلينا ليس هو الذي أنزل إلى من قبلنا».

واستشهد بقول حسان بن ثابت:

أمن يهجو رسول الله منكم      ويمدحه وينصره سواء<sup>(٣)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٤)</sup>.

وجاء في الحديث قول رسول الله ﷺ: «فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر»<sup>(٥)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٤.

(٢) العنكبوت/٤٦.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٤.

(٤) معجم شواهد العربية، ص ٢٠.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٥.



وفيه وقوع خبر (جعل) الإنشائية جملة فعلية مصدرية بـ(كلما).  
استشهد ابن مالك له بقول عمر بن أحمد الباهلي، وقد جاء خبرها جملة مصدر  
بـ(إذا):

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ثوبي فأنهض نهض الشارب

وأورد قول النبي ﷺ: «ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها». وقول أبي ذر رضي الله عنه: «ولا والله لا أسألم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديثين «دنيا» اسم مجرد من دلالة الوصفية، أجري مجرى ما لم يكن قط وصفاً مما وزنه فعلى، واستشهد لاستعماله على هذا النحو بقول الفرزدق:

لا تعجبك دنيا أنت تاركها كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

وذكر أن نظير «دنيا» في هذا الاستعمال: جُلَى. كما في قول الشاعر:

وإن دعوت إلى جُلَى ومكرمة يوم سراة كرام الناس فادعينا<sup>(٣)</sup>

وقال رسول الله ﷺ: «أسرعوا بالجنابة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليها وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»<sup>(٤)</sup>.

وقد جاء الضمير في «تقدمونها إليها» مؤنثاً عائداً على «الخير» وهو مذكر، واستشهد بالشاهد النحوي، وهو قول ذي الرمة:

مشين كما اهتزت رماح تسفحت أعاليها مر الرياح النواسم

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٦.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٩.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٤٠.

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٤٣.

على سريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف، وهو من شواهد سيبويه<sup>(١)</sup>.  
وجاء في حديث إجراء فعل القول مجرى فعل الظن، وذلك في قوله ﷺ: «ما  
تقول: يبقى من درنه»<sup>(٢)</sup>. فاستشهد له بهذا المعنى، بقول الشاعر:  
متى تقول القلص الرواسما      يحملن أم قاسم والقاسما<sup>(٣)</sup>  
وهو من شواهد النحو<sup>(٤)</sup>.

واستشهد لوقوع اسم الذات خبراً لظرف الزمان في قول النبي ﷺ: «فغداً اليهود،  
وبعد غدٍ النصارى» بقول الراجز:

أكل عام نعم تحونوه      يلقيه قوم وتتجونوه

على تقدير: أكل عام إحراز نعم تحونوه؟<sup>(٥)</sup>.

وذكر ابن مالك قول النبي ﷺ: «يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»<sup>(٦)</sup>.  
وذهب مذهب سيبويه في أن معنى «رب» التكثر، إذ قال: «قلت: أكثر النحويين  
يرون أن معنى «رب» التقليل.. والصحيح أن معناها في الغالب التكثر، نص على  
ذلك سيبويه، ودلت شواهد النثر والنظم عليه، فأما نص سيبويه فقوله في باب «كم»:  
«واعلم أن «كم» في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه «رب»، لأن المعنى واحد، إلا أن  
«كم» اسم، و«رب» غير اسم، فجعل معنى «رب» ومعنى «كم» واحداً».  
واستشهد لرب بهذا المعنى بقول حسان بن ثابت:

(١) الكتاب: ٦٥ / ١، ومعجم شواهد العربية، ص ٣٦٣.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٤٩.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٥١.

(٤) معجم شواهد العربية، ص ٥٣٢.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٥٥.

(٦) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٦٤.

رب حلم أضاعه عدم الـ  
وقول ضابئ اليرجمي:

ورب أمور لا تضيرك ضيرة  
ويقول عدي بن زيد:

رب مأمول وراج أملا  
قد ثناه الدهر عن ذاك الأمل<sup>(١)</sup>

وجاء في الحديث قول ابن عباس رضي الله عنهما «كُلُّ ما شئت واشرب ما شئت ما أخطأك ثنتان: سرف أو غيلة»<sup>(٢)</sup>.

وقد تضمن استعمال «أو» بمعنى الواو، وذكر ابن مالك أن نظائر هذا الاستعمال عند أمن اللبس كثيرة، فمنها قول امرئ القيس:

فظل طهاة اللحم من بين  
وهو من شواهد النحو<sup>(٣)</sup>.

ومنها قول الآخر حميد بن ثور الهلالي:

قوم إذا سمعوا الصريخ  
وهو من شواهد النحو<sup>(٤)</sup>.

وورد في الحديث: «... ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل الناس»<sup>(٥)</sup>.

وفيه شاهد على استعمال الفعل (عدَّ) بمعنى ظن. فذكر ابن مالك أنه يرد كثيراً

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) شواهد التوضيح، ص ١٧٤.

(٣) معجم شواهد العربية، ص ٣٠٢.

(٤) معجم شواهد العربية، ص ٢٣٢.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٨٣.

بهذا المعنى وأثبت من شواهد قول الشاعر:

فلا تعدد المولى شريكك في      ولكنما المولى شريكك في العدم<sup>(١)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>.

وقول الآخر:

لا أعد الأفتار عدماً ولكن      فقد من فقدته الإعدام

وهو من شواهد النحو<sup>(٣)</sup>.

وجاء جواب الشرط غير مقترن بالفاء في المواضع التي ألزم النحويون اقترانه بها: في القرآن وفي الحديث، والنحويون يرون أن ذلك مخصوص بالضرورة.

ومما أثبتته ابن مالك من هذا الوجه في الحديث قول رسول الله ﷺ لسعد ﷺ: «إنك إن تركت ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة.

وقوله لأبي بن كعب ﷺ: «فإن جاء صاحبها، وإلا فاستمتع بها» واستمتع فعل أمر. وقوله لهلال بن أمية: «الينة والأحد في ظهرك»<sup>(٤)</sup>.

وذكر ابن مالك من شواهد في الشعر:

أبني لا تبعد فليس بمخالد      حي ومن تصب المنون بعيد

وقول الآخر:

فهل أنا إلا مثل سيقّة العدى      إن استقدمت نحر وإن جبات عقر<sup>(٥)</sup>

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٧٣.

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٣٥٧.

(٣) معجم شواهد العربية، ص ٣٥٨.

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٢.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٣.

ووقف ابن مالك على حذف نون الرفع في قول عقبة بن عامر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم:  
«إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا».

وقول صحابي آخر: «... وأصبحوا يعلمونا كتاب الله».

فعقب عليهما قائلاً: «قلت حذف نون الرفع في موضع الرفع لمجرد التخفيف ثابت في الكلام الفصيح نثره ونظمه»<sup>(١)</sup>.

فاستشهد لهذا الضرب من الحذف بقول أبي طالب:

فإن سرّ قوماً بعض ما ستحتلبوها لاقحاً غير باهل

وقول الآخر، وهو من شواهد النحو<sup>(٢)</sup>:

أبيت أسري وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي<sup>(٣)</sup>

وهو من شواهد النحو<sup>(٤)</sup>.

وورد في الحديث لفظه «أحد» في سياق إثبات، والنحويون يرون أنها لا ترد إلا في سياق نفى.

جاء ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى».

وذكر ابن مالك أن المسوخ لورودها في الإثبات في الحديث أن فيه معنى النفي إذ هو بمعنى لا أحد أفضل من يونس.

واستشهد بقول الفرزدق:

ولو سئلت عن نوار وأهلها إذا أحد لم تنطق الشفتان

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٨

(٢) معجم شواهد العربية، ص ٥١٥.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٨.

(٤) معجم شواهد العربية، ص ٥١٥.

والتقدير عنده «إذا لم ينطق منهم أحد»<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت «أحد» في سياق إثبات في القرآن في عدد من الآيات كما سنرى.

ولعل فيما رأينا من استشهاد أبي البقاء والعكبري وابن مالك لما ورد في الحديث من المشكل وغير المشكل بكلام الله تعالى وبشواهد الشعر ما يبطل التعلّة التي تمسك بها النحويون، فعزفوا بمقتضاها عن التوسع في الاستشهاد بالحديث الشريف، إذ هو عندهم في رتبة دون شواهدهم الشعرية، لشكهم بأصالة ألفاظه.

وقد جاء ما تمثل في الأحاديث من وجوه الإعراب ودلالات الأسماء والأفعال وحروف المعاني موافقاً لما توثق بالشواهد القرآنية والشواهد الشعرية.

أما ما شاب طائفة قليلة من الحديث ما وقع فيه الرواة من اللحن فهو ليس من الحديث في الأصل، ولا سيما ما كان منسوباً إلى النبي ﷺ وإلى صحابته رضي الله عنهم.

ولا وجه على هذا لوضع الحديث الشريف في رتبة أدنى من شواهد الشعر في مجال الاستشهاد وهو كلام «أفصح الفصحاء»، وإنه لمن الثابت من حديثه ﷺ قوله: «أنا أفصح العرب» وقوله: «أنا أفصح من نطق بالضاد».

ولقد كان هذان القولان بعيدين عما يراه النحويون حين أشاحوا بوجوههم وبأقلامهم عن الكثير الصحيح الفصيح من الأحاديث لجريرة الذين أخطؤوا في القليل منه.

وقد درج النحويون على أن يردفوا الشاهد القرآني بالشاهد الشعري لتوثيق ما ينظرون فيه من المسائل، وفي الأحاديث على كثرتها الشاهد لكل ما في أبواب النحو من وجوه الإعراب، ومن أحكام اللغة الأخرى.

ولو أنهم أردفوا الشاهد الشعري للمسائل التي يوثقون به ما يقفون عليه من الأحكام اللغوية بالشاهد من الحديث المشاكل لما تمثل فيه لكان ذلك حقيقاً بأن يسقط

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٧٢.

عن الحديث شبهة أن الغالب منه مروى بالمعنى بألفاظ الأعاجم والمولدين - كما يزعمون - ، ولأدى إلى تقبل الحكم الموثق بالشاهد الشعري دون النظر إلى ما اقتضته لوازم النظم فيه .

ومن الدليل على ذلك قول الشاعر:

مثل النعامة كانت وهي سالمة      أذناء حتى زها الحين والجئن

فإن أول ما يتبادر إلى الظن أن الشاعر اضطر فجعل الجنون «الجئن» لإقامة الوزن. ولكن حينما يذكر مع هذا الشاهد ما جاء في الحديث، وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «وأنا أخشى أن يكون بي جئن».

ينتفي هذا الظن، ويحمل على أن قصر الجنون على هذا النحو إنما هو لغة واردة في فصيح النثر من الكلام.

ومن الدليل عليه أن من يقف على قول جرير:

تزود مثل زاد أيبك فينا      فنعم الزاد زاد أيبك زادا

يكون الوجه القريب الظاهر لديه أن الشاعر اضطر لما يقتضيه النظم إلى ذكر التمييز (زادا) مع فاعل «نعم» ومن النحويين من ينكر ذلك وأولهم سيويه. ولو ذكر معه ما جاء في الحديث «نعم المنيحة منيحة اللقحة» لانتفى حمله على الضرورة.

والنحويون يعدون حذف شطر من جواب القسم في قول امرئ القيس:

حلفت لها بالله حلفة فاجر      لناموا فما من حديث ولا صال

ضرورة، ولو ذكر معه قول النبي ﷺ «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما».

وقول الصحابية: «فو الله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح فأناخ».

لما حمل قول امرئ القيس على هذا الحمل، ولعدُّ مما هو وارد في اللغة لضرب من التخفيف، وللاقتصار على ما يدل على الجواب كله.

ولاشك أن حذف نون الرفع لا يقع في الشعر إلا عن اضطرار لإقامة الوزن، كما يتضح من هذه الشواهد النحوية:

تراه كالثغام يعمل مسكاً      يسوء الفاليات إذا فليني

وقول أبي طالب:

فإن سرّ قوماً بعض ما صنعتم      ستحتلبوها لاقحاً غير باهل

وقول الآخر:

كل له نية في بغض صاحبه      بنعمة الله نقليكم وتقلونا

ولو ذكر معها قول النبي ﷺ: «أصبح عندكم شيء تطعموني»؟

وقول عائشة رضي الله عنها: «وظننت أن القوم سيفقدوني».

وقول الصحابي لرسول الله ﷺ: «إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا».

وما جاء في الحديث «إنهم كانوا عباداً يعبدوني».

والحديث «وإن لي قرابة أصلهم ويقطعوني».

أقول لو ذكر مع تلك الشواهد الشعرية هذه الأحاديث التي اشتملت على حذف نون الرفع لما جعل ما في الشواهد الشعرية مقصوراً على الضرورة، ولعد مما هو وارد في اللغة لضرب من التخفيف.

وابن مالك يقول: «حذف نون الرفع في موضع الرفع مجرد التخفيف ثابت في الكلام الفصيح نثره نظمه»<sup>(١)</sup>

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٨.



## أبو البقاء العكبري

### والحديث الشريف

وقف أبو البقاء العكبري في كتابه «إعراب الحديث النبوي على (٥٠٥) خمسمئة وخمسة مواضع من الحديث الشريف، بين فيها ما رأى أنه يلزم بيان الوجه في إعرابه أو في دلالاته، وأكثر هذه المواضع مما هو صحيح سليم في صياغته، ومتسق مع أحكام اللغة، ولا إشكال فيه، وأن أكثرها جار على ما ورد في كلام الله، فكانت شواهد لها من القرآن.

وذكر أبو البقاء في مقدمته الهدف الذي توخاه من تأليفه، إذ قال: «... أما بعد فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أن أملئ مختصراً في إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث، وأن بعض الرواة قد يخطئ فيها، والني ﷺ وأصحابه بريثون من اللحن، فأجبتهم إلى ذلك، واعتمدت على أتم المسانيد وأقربها إلى الاستيعاب وهو «جامع المسانيد للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - رحمه الله -... وهذا الكتاب موضوع على أسماء الصحابة مرتبة على حروف المعجم، والله الموفق للصواب»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء الكتاب في معظمه بعيداً عن هذا الهدف، إذ الأكثر مما وقف عليه، ويبين إعرابه مما لا إشكال فيه، بل إنه من الواضح البين الموافق لأحكام اللغة، وهو من الوضوح والظهور بحيث لا يحتاج إلى بيان أو توجيه.

وإذا اعتمدنا على الأرقام لمعرفة نسبة غير المشكل من هذه الأحاديث إلى المشكل منها على نحو دقيق تبين لنا ما يأتي:

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١.

عدد ما أعربه من الأحاديث (٥٠٥) خمسمئة وخمسة أحاديث.

عدد المشكل منها (٣٨) ثمانية وثلاثون حديثاً.

ومن الجدير بالذكر أن الأحاديث الثمانية والثلاثين المشكلة قد ورد واحد وعشرون منها في روايات أخرى صحيحة لا إشكال فيها، جار كل منها على الصحيح من أحكام اللغة.

وعلى هذا فإن عدد الأحاديث المشكلة حقاً هو سبعة عشر حديثاً من مجموع الأحاديث وبهذا تكون نسبة المشكل إلى غير المشكل هي: ٣٦,٣٪، أي أن ما يزيد على ٩٦٪ من الأحاديث إنما هو من الصحيح الذي لا إشكال فيه.

وهذه النسبة توضح إلى حد ما النسبة الضئيلة للمشكل بالقياس إلى غير المشكل في الحديث الشريف كله، ولا بد من الإقرار بأن ما اشتمل على خطأ من الكلام إنما هو ليس من الحديث بشيء؛ إذ لا يمكن أن يكون الكلام خطأ ويكون معدوداً من الأحاديث النبوية. ولما كان النبي ﷺ وأصحابه ﷺ بريئين من اللحن كما قال أبو البقاء وهو المسلم به والمتفق عليه لدى الأمة فالأجدر أن تكون كل الأحاديث النبوية مبرأة من كل ضرب من ضروب الخطأ، إذ الأصل في الأحاديث الصحة التامة والموافقة التامة لما هو صحيح من أحكام اللغة، والأحق ألا يعد من الحديث ما اشتمل على خطأ، وألا يؤبه به، لأنه يشينه، ويتخذ حجة للذين يستبعدون الأحاديث كلها عن مجال الاستشهاد، ويهونون من شأنها بالقياس إلى الشواهد الأخرى، والأحكم والأسلم في هذا الشأن التمسك بما صحت روايته منها، ونبذ ما اشتمل على خطأ من الروايات، فلا خطأ في الحديث في الأصل.

وإذا وجد في الحديث ما هو مخالف لما تقرر في النحو، أو ما لم يقيد فيه مع صحته فالأجدر أن يحمل ذلك على أنه مما أخل به النحويون، وغفلوا عنه، ولم يدرجوه في نحوهم كما هو الشأن في صنيع ابن مالك - رحمه الله - إذ استدرك على النحويين

طائفة من الأحكام في النحو واللغة استخلصها مما وجدته في الحديث النبوي الشريف، كما سنرى.

ومما استهل به أبو البقاء إعرابه من الحديث ما جاء في حديث موسى مع الخضر عليهما السلام بمجمع البحرين، ومنه قوله: «أنى بأرضك السلام»<sup>(١)</sup>.

فقال: «أنى ههنا فيها وجهان: أحدهما: من أين كقوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾، فهي ظرف مكان، والسلام مبتدأ والظرف خبر عنه، والوجه الثاني: هي بمعنى: كيف أي كيف بأرضك السلام... فأما قوله: «بأرضك السلام» فموضعه نصب على الحال من السلام».

ومنه قوله: «موسى بني إسرائيل» أي أنت موسى بني إسرائيل، فد(أنت) مبتدأ وموسى خبره».

وقوله: «قوم حملونا» أي هؤلاء قوم، أو هم قوم، فالمبتدأ محذوف وقوم خبره»<sup>(٢)</sup>. وأعرّب «ثم جاء بطست من ذهب مملوءاً بحكمة وإيماناً» قاتلاً: مملوءاً بالنصب على الحال، وصاحب الحال: طست لأنه وإن كان نكرة فقد وصف بقوله: (من ذهب) ف قرب من المعرفة<sup>(٢)</sup>.

على هذا النحو يجري أعراب أبي البقاء لما هو غير مشكل من الحديث، وهو إعراب - كما ترى - يتجه إلى مبتدئين في معرفة هذا العلم، وليس في هذه الأحاديث ما يستدعي الوقوف عليه، ففي ظاهر ما يتضح من كل منها ما يغني عن إعرابه.

وأعرّب ما جاء في رواية أبي عليه السلام قوله للنبي ﷺ: «أي رسول الله» قاتلاً: «هو بفتح الهمزة - أي - وتخفيف الياء مقلوب «يا»<sup>(٣)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٥

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ٧

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٩

ولقد أبعد أبو البقاء في هذا الإعراب، فليست «أي» مقلوب «يا»، وإنما هو حرف نداء أصل، إذ هو معدود في حروف النداء في كتب النحو الموسعة، ويرد في كتب الأدب، وفي الوصايا متقدماً على «بني» مصغر «ابن» فيقولون: «أي بني».

ولا وجه لهذا القلب إذ إن «يا» أخف من أي، وهي أنسب للنداء لما فيها من مد الصوت في نداء القريب والبعيد، فما وضعت له «يا» غير ما وضعت له «أي».

وأعرب ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه «ليصل أحدكم نشاطه» أي مدة نشاطه، فحذف الظرف، وأقام المصدر مقامه<sup>(١)</sup>.

وأعرب «فلا أصلي لكم» قائلاً: «ولم يقل بكم لأنه أراد من أجلكم لتقتدوا بي»<sup>(٢)</sup>. وقال في إعراب «ما بأس ذلك» ذلك مبتدأ، وبأس خبر مقدم وبطل عمل «ما» بالتقديم<sup>(٣)</sup>.

وأعرب «أولوها له يفقهها» قائلاً: «يفقه مجزوم على جواب الأمر، فيدغم الهاء في الهاء»<sup>(٤)</sup>.

وقال في إعراب حديث الحلف على المنبر: «وإن على سواك أخضر»: «وتفسيره: وإن حلف على سواك» فحذف لدلالة الأول عليه<sup>(٥)</sup>.

وأعرب «فإن سمعت الأذان فأجب ولو حبواً أو زحفاً». قائلاً: «تقديره: ولو أتيت حبواً وهو مصدر في موضع الحال، أي حابياً أو زاحفاً»<sup>(٦)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٦.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٩.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٣٤.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٤.

(٥) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٩.

(٦) إعراب الحديث النبوي، ص ٨٢.

وقال في إعراب: «كمر الريح وشد الرحال»: شد ههنا مجرور معطوف على المجرور- قبله، والتقدير: أو كشد الرحال»<sup>(١)</sup>.

ويعضي في هذا النحو السهل البين من الإعراب للصحيح من الأحاديث التي لا إشكال فيها، فيقول في إعراب الحديث «يا أهل الجنة خلود لا موت»: «في هذه الرواية (خلود) بالرفع، وقد جاء في موضع آخر بالنصب على تقدير «اخلدوا خلوداً، والرفع على تقدير: لكم خلود، أو: هذا خلود ولا موت، ويجوز في الفتح على معنى لا موت عندكم أو لكم، والرفع على أنه معطوف على خلود، أو على تقدير: غير موت».

وقال في إعراب: «لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله»: يجوز الجر في (رجل) على أن يكون بدلاً من اثنين، أي خصلة رجلين، وعلى النصب بإضمار: أعني، والرفع على أن التقدير: إحداهما خصلة رجل»<sup>(٢)</sup>.

وأعرب «فقالن أجلهن امرأة» قائلاً: «امرأة تمييز، كما تقول زيد أفضلهم أباً وأحسنهم وجهاً، وكذلك كل نكرة تقع بعد «أفعل» المضافة»<sup>(٣)</sup>.  
وقال في إعراب: «قد جاءكم رمضان شهر مبارك»: شهر: بدل من رمضان، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي هو شهر مبارك»<sup>(٤)</sup>.

وقال في إعراب: «أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً»: «قياماً حال من الصفوف، وفيه «فقال لنا رسول الله ﷺ مكانكم» وهذا الاسم نائب عن الأمر، أي الزموا مكانكم وقفوا، كقوله تعالى: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١١٧

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ١١٨

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ١٢٥

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٩

(٥) إعراب الحديث النبوي، ص ١٤١

وقال في إعراب: «لا يؤمن العبد الإيمان كله: الإيمان مصدر معرف كما تقول: قمت القيام الذي تعرف، وكله للتوكيد»<sup>(١)</sup>.

وأعرب «عليك السمع والطاعة» بالرفع على أنه مبتدأ، وما قبله الخبر، وهذا لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، أي اسمع وأطع على كل حال، وإن جاء في بعض الروايات منصوباً فهو على الإغراء كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وذكر الحديث «هل من داع فاستجيب له» فقال الجيد نصب هذه الأفعال؛ لأنها جواب الاستفهام، فهي كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾، ويجوز الرفع على تقدير مبتدأ، أي: فانا أعطيه، فانا أجيبه.

وأعرب «والناس يضربون الإبل يمينا وشمالاً» قائلاً: يمينا وشمالاً منصوبان على الظرف، أي في يمين وشمال<sup>(٣)</sup>.

وقال في إعراب حياً وتالفاً من الحديث: «والله ما أدري: أحباً ذلك أم تالفاً»، هما منصوبان، مفعول لهما، أي: لا أدري هل ولأني «لمحبته أو لتألفه إياي»<sup>(٤)</sup>.

وجاء في حديث معاذ بن أنس الجهني «أن رجلاً سأله: «أي المجاهدين أعظم أجراً قال: أكثرهم لله ذكراً». فقال أبو البقاء: «أي مبتدأ واستفهام، وأعظم: خبر المبتدأ، وأجراً تمييز، وكذلك أكثرهم ذكراً»<sup>(٥)</sup>.

وأعرب «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله: آخر بالرفع اسم كان و«لا إله إلا الله» في موضع نصب خبرها، ويجوز العكس»<sup>(٦)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٤٦

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ١٤٨

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ١٥٤

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١٦٣

(٥) إعراب الحديث النبوي، ص ١٧١

(٦) إعراب الحديث النبوي، ص ١٧٤

وأعرب «فمكث طويلاً: طويلاً نعت لمصدر محذوف، أي مكثاً طويلاً، ويجوز أن يكون نعتاً لظرف محذوف، أي: زمناً طويلاً»<sup>(١)</sup>.

وأعرب قول معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلبه فقيل لي: خرج قبل، قبل هنا مبنية على الضم لأنها قطعت عن الإضافة، ومثله قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا جانب مما انصرف أبو البقاء العكبري في كتابه «إعراب الحديث النبوي» إلى توجيهه، وهو يظهر مدى بعده عما قاله في مقدمته «... فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أن أملي مختصراً في إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث... فأجبتهم إلى ذلك» فليس في كل ما رأينا أي إشكال، بل إنه جارٍ على أحكام اللغة، الصحيح الفصيح منها، ومن الواضع البين فيما تمثل فيه من أوجه الإعراب، إذ يدل ظاهره على الوجه في إعرابه مما يغني عن الوقوف عليه لبيان ما فيه، وعلى هذا النحو يجري إعرابه للجانب الأكبر من الكتاب.

وقد رأينا أن أكثر الأحاديث في الكتاب لا إشكال فيه، لا في الألفاظ ودلالاتها، ولا في أصلتها في اللغة، ولا فيما تمثل فيها من أوجه الإعراب، مما يظهر براءة الأحاديث من الشبهة التي ادعاها النحويون، التي يزعمون فيها أن الغالب من ألفاظ الحديث هو من ألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين، تعلقة لعدم ميلهم إلى الاستشهاد به، وترجيح شواهدهم الشعرية عليه، لأنها أوثق لديهم منه.

والقليل مما اشتمل عليه كتاب أبي البقاء هو ما ظهر فيه ضرب من ضروب الإشكال، وأكثر هذا القليل جاءت مع كل منه رواية صحيحة للحديث. وما وقف عليه من المشكل:

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٧٥.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ١٧٥.

## البديل من ضمير الرفع المتصل :

وهو ما أطلق عليه النحويون اسماً بغيضاً منكرأ، إذ سموه لغة «أكلوني البراغيث» وهذه العبارة على ما فيها من السوء والسماجة فهي خطأ من وجهين، يقول الحريري: «وقد قيل في لغة» ضعيفة «أكلوني البراغيث»، وعند المحققين هذا الكلام فيه لحتان:

إحداهما إلحاق ضمير الجمع بالفعل المتقدم والواجب توحيده.

والثانية: أنه كان يجب أن يقول: أكلني أو أكلتني، لأن هذه الواو لا يجوز أن تكون إلا ضمير جمع من يعقل»<sup>(١)</sup>.

ولا ينبغي أن يعد البديل من ضمير الرفع المتصل خطأ، فقد جاء في موضعين من كلام الله تعالى، وهما قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿لَا هَيْبَةَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

وثمة موضع ثالث مختلف بشأنه، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد جعل أبو البركات الأنباري هذا الوجه أول أوجه ثلاثة في إعراب الآية، إذ قال: «الواو في ليسوا اسم ليس، وسواء خبرها، وأمة قائمة، في رفعه ثلاثة أوجه: الأول أن يكون مرفوعاً على البديل من الضمير في ليسوا، والتقدير: ليس أمة قائمة وأمة غير قائمة سواء»<sup>(٥)</sup>.

وأمثلة هذا الوجه من الكلام كثيرة في الحديث الشريف، وفي شواهد الشعر.

(١) ملحة الإعراب، ص ٨٥.

(٢) المائدة/ ٧١.

(٣) الأنبياء/ ٣.

(٤) آل عمران/ ١١٣.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ١١٣.



يقول ابن يعيش: «وإذا قلت قاما الزيدان فالألف حرف مؤذن بأن الفعل لجماعة، وهي لغة فاشية لبعض العرب، كثيرة في كلام العرب وأشعارهم»<sup>(١)</sup>.  
وهي فاشية في كلام كل العرب الآن.

ومما وقف عليه أبو البقاء من هذا الوجه في الحديث قول أنس بن مالك: «فكن أمهاتي يحثني»، فقال: «النون حرف يدل على جمع المؤنث، وليست اسماً مضمراً لأن (أمهاتي) هو اسم كان، فلا يكون لها اسمان، ونظير النون ههنا، الواو في قوله أكلوني البراغيث، واستشهد بالشاهد الذي درج النحويون على تقديمه في هذا الموضع وهو قول الفرزدق:

ولكن ديا في أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

ثم قال: «ويجوز أن يجعل النون اسماً مضمراً، ويكون «أمهاتي» بدلاً منه»<sup>(٢)</sup>.  
ومنه قول جابر بن عبد الله: «من كن له ثلاث بنات».

فقال أبو البقاء في توجيهه: «وقع في هذه الرواية (كن) والوجه: من كان له، أو من كانت له، والوجه في الرواية المشهورة أنه جعل النون علامة مجردة للجمع، وليست اسماً مضمراً، كما أن تاء التانيث في قولك: قامت وقعدت هند، علامة لا اسم»  
واستشهد ببيت الفرزدق وشاهد آخر.

- حذف نون الرفع لوقوعها مع نون الوقاية أو نون الضمير:

ذكر أبو البقاء هذا الضرب من الأشكال في سبعة مواضع متفرقة من كتابه، هي:

«إنهم كانوا عباداً يعبدوني»، ص ١١٩.

«إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني»، ص ١٤٥.

«إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا»، ص ١٥١.

(١) شرح المفصل ٣/٨٧.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٨.

«اللهم إن أناساً يتبعونني»، ص ١٨٣.

«... وأصبحوا يعلمونا كتاب ربنا»، ص ١٨٤.

«أصبح عندكم شيء تطعمونيه»، ص ١٩٦.

«ظننت أن القوم سيفقدوني»، ص ١٩٧.

ولم تكن له وجهة نظر واحدة في هذا الإشكال، إذ نجد إنه يوجه العبارة الأولى، ويستشهد لها بشاهدين شعريين، لكنه يخطئ العبارة الثانية، ويوجه العبارة الثالثة مستدلاًها بقراءة، وحين وقف على العبارتين الرابعة والخامسة خطأ كلاً منهما، وعاد إلى التوجيه فيما تمثل في العبارة السادسة، أما العبارة السابعة فقد اكتفى ببيان ما تمثل فيها دون أن يبدي رأياً بشأنها.

على هذا النحو من التباين وعدم الاتساق يأتي موقف أبي البقاء العكبري - رحمه الله - إزاء هذه الحالة الواحدة من الإشكال في المواضع السبعة التي عرضها في إعرابه للحديث الشريف.

قال في توجيهه: «إنهم كانوا عباداً يعبدونني»: «كذا وقع في هذه الرواية بنون واحدة، والأصل: يعبدونني، إذ لا سبب لحذف النون، ويحتمل وجهين: أحدهما: أن تشدد النون، فيكون كقوله تعالى: ﴿أَتَحْكَبُونِي فِي اللَّهِ﴾ فتدغم النون في النون.

والثاني: أن تكون النون خفيفة، فيكون قد حذف إحدى النونين كما قال الشاعر:

كل له نية في بغض صاحبه      بنعمة الله نقلسيكم وتقلوننا

وقال آخر:

تراه كالثغام يعمل مسكاً      يسوء الفاليات إذا فليبي

والقصد من إيراد الشاهدين هو بيان مشابهة ما فيهما لما في الحديث فقط، وإلا فإن حذف النون فيهما لازم لمقتضى النظم، وعلى هذا لا يكونان حجة لتوجيه ما في الحديث، فليس يصح أن يحتج للنثر فيما يأتي في الشعر بإلزام الضرورة.

بيد إننا نجد أبا البقاء يخطئ ما جاء في الحديث «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني». إذ قال: «الصواب يقطعونني بنونين، أو بنون واحدة مشددة، لأن هذا الفعل مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والنون الأخرى نون الوقاية، ومما جاء من المشدد قوله تعالى: ﴿أَتُحْتَجُّونَ فِي اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

فهو لم يعد ما في هذه الرواية من الصواب.

وقال في توجيه الحديث: «إنك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا»: الأصل يقروننا، فالنون الأولى علامته رفع الفعل، وهو مرفوع، و«نا» ضمير الجماعة، وهو مفعول، إلا أنه حذف نون الرفع لتوالي نونين، ومثله قوله تعالى: ﴿فِيمَ تَبْشِرُونَ﴾ فيمن كسر النون، وهي قراءة نافع<sup>(٢)</sup>.

فهو هنا بوجه هذه الحالة التي خطأها في الحديث السابق، ويستشهد لها بقراءة أحد القراء السبعة.

أما ما جاء في الحديث «اللهم إن أناساً يتبعونني» فقد خطأه وأنكره قائلًا: «الصواب في هذا يتبعونني بنونين؛ لأنه مرفوع، وإن روي بتشديد النون جاز، فأما نون واحدة مخففة فلا».

كذلك خطأ وأنكر ما جاء في حديث رجل من وفد عبد القيس، قيل له: «كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم، وضيافتهم إياكم؟ فقال: «خير إخوان ألانوا فرشنا، وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا». إذ قال: «... والصواب «يعلموننا بنونين، لا يجوز غير ذلك، وإنما جاز بنون واحدة مثل هذا في الشعر، وهو موضع ضرورة».

لكنك تجد أنه يذهب مذهباً مختلفاً حين يقف على الحديث «أصبح عندكم شيء تطعمونيه» إذ بين ما فيه، ووجهه مستشهداً له بما استشهد لما وجهه قبله، إذ قال، وقع في هذه الرواية بنون واحدة، ويحتمل ثلاثة أوجه :

(١) الأنعام/ ٨٠.

(٢) الحجر/ ٥٤، السبعة في القراءات، ص ٣٦٧.

أحدها: أن يكون مجزوماً على جواب الاستفهام، كقولك: أين بيتك أزرِك.  
والثاني: أن يكون مرفوعاً نعتاً لشيء، ولكنه حذف إحدى النونين؛ لأن أصله:  
تطعمونني على ما جاء في الشعر:

يسوء الفاليات إذا فليني  
أي فليني، وقد قرئ «بم تبشرون» بتخفيف النون.

والثالث: أن تكون النون مشددة كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾.

وحين وقف على ما جاء في حديث الإفك «وظننت أن القوم سيفقدونني» اكتفى  
ببيان ما فيه، ولم يزد على ذلك شيئاً، ثم انتقل إلى بقية ما اشتمل عليه الحديث، إذ قال:  
«وظننت أن القوم سيفقدوني بنون واحدة، فيحتمل أن يكون حذف إحدى النونين،  
وأن تكون النون مشددة». هذا كل ما قاله.

ولعل الأوفق فيما تمثل في هذه المواضع من حذف نون الرفع القول: إن المتكلم  
استغنى عنها بنون الوقاية التي حلت محلها بعد الفعل مباشرة، فبدت كأنها نون رفع  
الفعل تخفيفاً مع دلالة السياق على النون المحذوفة؛ إذ لا عامل لحذفها، ولكراهة  
اجتماع المثلين، كذلك الشأن في نون الضمير في «لا يقرونا» و«يعلمونا».

وحذفها في هذا كحذف إحدى التائين في الفعل المضارع، كما في قوله تعالى:  
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ فالسياق دال  
على التاء المحذوفة كما دل السياق على النون المحذوفة.

وابن مالك يقول: «قلت: حذف نون الرفع في موضع الرفع لمجرد التخفيف ثابت  
في الكلام الفصيح نثره ونظمه»<sup>(١)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٨.

ما حمله أبو البقاء على سهو الرواة وخطئهم :

ونسب أبو البقاء العكبري ما تراءى له في طائفة من الأحاديث من الخلل ومخالفة أحكام اللغة إلى سهو الرواة وخطئهم.

ومما لا ريب فيه أن الخطأ الظاهر الذي لا سبيل إلى توجيهه لا يمكن عده من المشكل، إذ إن الإشكال الذي يتبدى في أي نص إنما هو ما يجيء في الكلام الصحيح بوجه مخالف لما استقر لدى اللغويين من أحكام اللغة، فيلزم حينئذ بيان الوجه في إشكاله والاحتجاج لما تمثل فيه، ويجري هذا على ما عده النحويون من المشكل في إعراب القرآن، أما الخطأ فلا مدخل للنظر فيه سوى الحكم عليه بأنه خطأ.

فليس ما جاء في حديث سلمة بن نفيل السكوني مثلاً «ولستم لابثون بعدي إلا قليلاً» من المشكل، وإنما هو خطأ فقط، وهو خطأ من رواه على هذا النحو، وللحديث رواية أخرى صحيحة «ولستم لابثين...»، وقد حمله أبو البقاء على السهو إذ قال: «كذا وقع في هذه الرواية، وهو سهو؛ لأنه خبر ليس، ولا يمكن أن يجعل مبتدأ، إذ لا خبر له»<sup>(١)</sup>.

ومثل هذا لا يصح بأي وجه عده من الحديث الشريف، فالأحكام والأمثلة ألا يشار إلى هذه الرواية، اكتفاء بالرواية الصحيحة، إذ لو وقع مثل هذا الخطأ في كلام آخر لأهمل، أو يُعمد إلى تصحيحه قبل إثباته في نص معتبر.

وجاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه «ترك عليّ جوار» فعد أبو البقاء «جوار» بالكسر والتنوين في هذا الموضع خطأ، قائلاً: «والصحيح جوارى بفتح الياء من غير تنوين، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾»<sup>(٢)</sup>.

وخطأ ما جاء في حديثه أيضاً «فيأتي القبر فيراهما كلاهما» قائلاً: «في بعض الروايات: كلاهما بالألف، وهو خطأ»<sup>(٣)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٠٠.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ٣٨.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٨.

وأبو البقاء يعلم أن هذا الخطأ البين وقع في إحدى الروايات دون غيرها، فما الوجه إذن في ذكره، وعده من الحديث مع وجود روايات أخرى صحيحة؟! وما حمله أبو البقاء على سهو الرواة ما جاء في حديث أنس رضي الله عنه - حديث الغار - إذ قال: «إنه كان لي والدان كنت أحلب لهما في إنائهما فأتيهما، فإذا وجدتهما راقدين قمت على رؤوسهما كراهية أن أرد سنتهما في رؤوسهما حتى يستيقظان متى استيقظا».

فقال في توجيهه: «هكذا وقع في هذه الرواية حتى يستيقظان بالنون، وفيه عدة أوجه، أحدها أن يكون ذلك سهواً من الرواة، وقد وقع ذلك منهم كثيراً، والوجه حذفها بـ(حتى) لأن معناها: إلى أن»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان الأجدد بأبي البقاء أن يكتفي بجمل هذا الخطأ الظاهر على سهو الرواة، إذ للحديث رواية أخرى صحيحة «حتى يستيقظا»<sup>(٢)</sup>، لكنه يمضي في التوجيه فيقول في الوجه الثاني: «أن يكون ذلك على ما جاء في شدوذ الشعر:

أن تقرأن على أسماء ويحكما  
مني السلام وأن لا تخبرا أحدا

ولم يجيء «هذا على الشذوذ وإنما جاء في ضرورة الشعر، بدليل أن الشاعر احتاج إلى النون لإقامته الوزن فأثبتها في الشطر الأول، ولم يحتج إليها في الشطر الثاني «وأن لا تخبرا».

ويقول في الوجه الثالث: «والوجه الثالث: أن يكون على حذف مبتدأ أي حتى هما يستيقظان».

وهذا الضرب من التوجيه يعمد إليه النحويون حيثما وجدوا اللفظ العامل غير عامل، فيقحمون بينه وبين معموله لفظاً لتسوية ما يرون من عدم إعماله، وهذا

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٣

(٢) المسند: ١٥٣/٣ هامش المحقق، ص ٢٣.

الشاهد يرد في كتب النحو مع ورود (حتى) و(أن) في نص غير ناصبتين للفعل المضارع.

ونظير هذا قوله في توجيه الحديث: «ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجه فيعصبونه بالعصابة»: «الوجه في رفع «يعصبونه» أن يكون في الكلام مبتدأ محذوف تقديره: فهم يعصبونه، أو: فإذا هم يعصبونه»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «ولو روي فيعصبوه بحذف النون لكان معطوفاً على يتوجه وهو صحيح المعنى».

وقد روي «يعصبوه» في ثلاث روايات في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup>.

وعند النحويين أن اللفظ الذي يبطل العمل يبطله مذكوراً ومحذوفاً، فإذا أبطله وهو مذكور فما الوجه إذن في إبطاله وهو محذوف، ولا يزول أثره عند حذفه؟

ولا ريب أن «فهم يعصبونه»، وإذا هم يعصبونه إنما هو غير الكلام في سياق الحديث: والحكم الإعرابي يقوم على ظاهر ما يتبدى من الكلام، وليس على خفي التأويل، مما هو بعيد عما يدل عليه ظاهره.

ومما حمله على تغيير الرواة ما جاء في حديث أنس «يتبع الميت ثلاث أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله إذ قال: «الوجه أن يقال: «ثلاثة»؛ لأن الأشياء المذكورة مذكورات كلها، ولذلك قال: يرجع منها اثنان ويبقى واحد» فذكر، والأشبه أنه من تغيير الرواة من هذا الطريق، ويحتمل أن يكون الوجه فيه: ثلاث علق، والواحدة علقة، لأن كلاً من هذه المذكورات علقة، ثم إنه ذكر بعد ذلك حملاً على اللفظ بعد أن حمل الأول على المعنى»<sup>(٣)</sup>.

وقد أبعد أبو البقاء مرماء في هذا التوجيه، لأن علقة في هذا السياق لا تخطر على

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١١.

(٢) صحيح البخاري: ٣/٢٢٠ و ٤/٤٦ و ص ١٦٠.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٢٤.

بال أحد غير باله - رحمه الله - لإجراء هذا التوجيه، ثم إن العلقه صارت مذكرة بعد أداء الغرض من تأنيها في التوجيه.

وقد رأينا أنه ذكر الحديث «إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيئاً واحداً» منسوباً إلى النبي ﷺ على أنه قائله «قال رسول الله ﷺ: «إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيئاً واحداً». ثم قال: «هكذا في الرواية بالنصب، وهو خطأ من الراوي، والوجه الرفع على أنه خبر (بنو) وليس هنا خبر غيره»<sup>(١)</sup>.

هو خطأ من الراوي، وقائله رسول الله ﷺ، وهو يعلم أن هذا الرواية الخطأ إحدى رواياته، وقد جاء في روايتين أخريين «إنما أرى هاشماً والمطلب شيئاً واحداً» والرواية الأخرى «وإنما هم بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد»<sup>(٢)</sup>!!! ولم يستر أبا البقاء أن يكون خطأ الراوي قائله رسول الله ﷺ. وخطأ ما جاء في حديث حذيفة بن أسيد «قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات...» إذ قال: «... وفي هذا الحديث (حتى ترون) بالنون ولا وجه له، لأن (حتى) ههنا بمعنى إلى أن»<sup>(٣)</sup>.

ولم يذكر أبو البقاء هنا الأوجه الثلاثة التي أوردها لتوجيه «حتى يستيقظان» في الحديث السابق، وهما متشاكلان فيما تمثل فيهما من عدم إعمال «حتى». ولم يعد ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع «... إلى شعب فيه ماء يقال له ذا قرد» الوجه الصحيح، إذ قال: «وقع في هذه الرواية (ذا) بالألف والوجه الرفع، كما قال تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ﴾ ويبعد أن يجعل (له) في موضع رفع قائماً مقام الفاعل، ويكون (ذا) مفعولاً، لأن (ذا) مفعول صحيح، فلا يقام مقام الفاعل غيره، فإن كانت الروايات كلها كذا جاز أن يكون سماه «ذا قرد» بالألف على كل حال»<sup>(٤)</sup>.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ٥١.

(٢) المسند: ٨١/٤ و ص ٨٥ «هامش المحقق».

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٧٦.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ٩٩.



وليس هو بالألف على كل حال، ففي المسند «إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد». وفي صحيح مسلم «باب غزوة ذي قرد»<sup>(١)</sup>.

وفي الفائق للزنجشري «وهو على الماء الذي حلّأتهم عنه بذئ قرد، وفيه «طلحة» اشتري في غزوة ذي قرد بئراً، فتصدق بها»<sup>(٢)</sup>.

وفي لسان العرب (قرد) «وفي الحديث ذكر ذي قرد وهو بفتح القاف والراء... ومنه غزوة ذي قرد، ويقال ذو قرد»<sup>(٣)</sup>.

فهو ليس بالألف على كل حال، وقد تصرف به ابن منظور بحسب موقعه، فالرواية التي أثبتها أبو البقاء خطأ إذن.

وخطأ أبو البقاء ما جاء في الرواية «لا يتعاطى أحدكم أسير أخيه فيقتله، قائلاً: الصواب: لا يتعاط بغير ألف، لأنه نهي وقوله فيقتله منصوب على جواب النهي، ويجوز الرفع على معنى فهو يقتله». ثم قال: «وقد وقع في هذه الرواية «يتعاطى» بألف، والأشبه أنه سهو، فإن وجد في كل الطرق هكذا فيؤول على وجهين: أحدهما أن يكون نفيًا في اللفظ وهو نهي في المعنى، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾، والثاني: أشبع فتحة الطاء فنشأت منها الألف...»<sup>(٤)</sup>.

وحمله على إشباع الفتحة وجه ليس ببعيد، إذ لا يمكن إدراك الفارق اليسير بين قصر الفتحة وإشباعها ألفاً في درج الكلام.

وخطأ أبو البقاء ما جاء في حديث أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي: «قلت: يا نبي الله: أرايت الصيام ماذا هو؟ قال: فرض مجزأ». إذ قال: «كذا وقع في هذه الرواية

(١) المسند: ٥٣/٤، صحيح مسلم: ١٩٣/٥ (هامش المحقق).

(٢) الفائق: ٨٣/١.

(٣) لسان العرب (قرد) ١٤٩/٣.

(٤) إعراب الحديث النبوي، ص ١٠١

بالألف وضم الميم، وليس بشيء» والصواب: مجزيّ بفتح الميم، وبياء مشددة، أي مقابل بالأجر، كقولك المرء مجزيّ بعمله»<sup>(١)</sup>.

وحمل أبو البقاء على غلط الرواة ما جاء في رواية للحديث «هل أنتم تاركولي صاحبي» إذ قال: «الوجه (تاركون) لأن الكلمة ليست مضافة، لأن حرف الجر منع الإضافة هنا، وإنما يجوز حذف النون في موضعين، أحدهما: الإضافة، ولا إضافة هنا، والثاني إذا كان في (تاركون) الألف واللام مثل قول الشاعر:

### الحافظو عورة العشيّة

والأشبه أن حذفها من غلط الرواة»<sup>(٢)</sup>.

ومما وجهه من المشكل ما جاء في الحديث «فيقول أميرهم تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أميراً».

والظاهر من سياق الحديث أن «أمير» خبر «إن» وقد روي هكذا في رواية صحيحة، غير إن أبا البقاء يرى أن «أميراً» نصب على أنه حال إذ يقول: «أميراً هنا حال، وصاحب الحال الضمير في الجار، والعامل فيها الجار لنيابته عن «استقر»، ثم يقول: «وإن كان قد روي «أمير» فهو خبر «إن»، ومثل الوجه الأول قوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ والجملة مبتدأ وخبر»<sup>(٣)</sup>.

ولنا في هذا الذي قاله أبو البقاء - رحمه الله - قول يخالف ما ذهب إليه من وجوه.

منها: أن الحالية تنتفي لأن «أمير» هنا عمدة، وهو المتمم للكلام، إذ لا يتم الكلام في «إن بعضكم على بعض».

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٠٤

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ١٦٥

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٤٧، وطوافين قراءة، وهي في المصحف «طوافون».

ومنها: أن في «بعضكم» ضميراً ظاهراً، فما الوجه في الذهاب إلى ضمير مستتر في لفظ مستتر، وهو الفعل «استقر» ليكون صاحب الحال؟

ومنها: أن «طوافين» في هذه القراءة لا تشبه «أميراً» لأنها جاءت بعد تمام الكلام في الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ فالكلام قبل طوافين تام، ولا يتم الكلام في الحديث إلا في (أمير): «إن بعضكم على بعض أمير» كما في الرواية الأخرى.

ونظير توجيهه نصب «أميراً» في هذا الحديث توجيهه مجيء خبر المبتدأ منصوباً في حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - «نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارياً بمكة»<sup>(١)</sup>.

إذ قال: «هكذا وقع في هذه الرواية، والوجه فيه أن رسول الله ﷺ مبتدأ، وبمكة خبره، ومتوارياً حال من الضمير المقدر في الجار والعامل فيه الجار والاستقرار الذي دل عليه الجار، أي: ورسول الله ﷺ مستقر متوارياً».

وللحديث رواية أخرى «متوار»، وهي الأولى بالاعتبار، والأحق أن يكون اللفظ الظاهر هو الخبر، دون اللفظ المستتر الذي يراه النحويون دون غيرهم في هذا الموضع.

ومما وقف عليه أبو البقاء من المشكل، فبين وجه الإشكال فيه ثم وجهه ما جاء في حديث أبي ذر الغفاري ؓ: «ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون...» إذ قال: «... وأما قوله: «إلا المتزوجون فإنه وقع في هذا الرواية بالرفع، والأشبه أن يكون منصوباً؛ لأنه استثناء من غير نفي، ووجه الرفع أن يكون على الاستثناء، والاستثناء المنقطع، أي لكن المتزوجون مطهرون»<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن مالك نظيراً لما جاء في هذا الحديث قول ابن أبي قتادة ؓ: «أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم» وحمل رفع ما بعد أداة الاستثناء على أنه أحد ركني جملة

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١١٠

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ٦٩.

اسمية مستأنفة من المبتدأ والخبر، وعد هذا الوجه في الاستثناء مما لا يعرفه «أكثر المتأخرين من البصريين»<sup>(١)</sup>.

ومما جاء في بعض الروايات مشكلاً، فبين أبو البقاء الوجه الصحيح فيه، ثم التمس له وجهاً من التأويل الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه، فأنتك إن لا تراه فإنه يراك» فقال: «كذا وقع في هذه الرواية (تراه) بألف، والوجه حذفها، لأن «إن» لا تحتمل هذا من وجوه «إن» المكسورة إلا الشرطية، وهي جازمة؛ وعلى هذا يمكن تأويل هذه الرواية على أنه أشبع فتحة الراء فنشأت الألف، وليست من نفس الكلمة، ويجوز أن يكون جعل الألف في الرفع عليها حركة مقدره، فلما دخل الجازم حذف تلك الحركة فبقيت الألف ساذجة من الحركة كما يكون الحرف الصحيح ساكناً في الجزم»<sup>(٢)</sup>.

ومما وجهه أبو البقاء من الحديث قول النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصيني فقد عصى الله» إذ قال: «فيه وجهان: أحدهما أن تجعل (من) بمعنى الذي، فلا تجزم، أي: إن الذي يطيعني يطيع الله... والوجه الثاني أن تكون شرطية، ولكنه أثبت الياء في يعصيني إما للإشباع، وإما قدر الحركة عليها وحذف الجازم».

ثم قال: «وأما (من) التي في باقي الحديث فشرطية» وهي المعطوفة على (من) الأولى<sup>(٣)</sup>.

فكيف تكون الأولى غير شرطية، والمعطوفة عليها شرطية في سياق واحد؟ وما بعد «من» جملة شرطية بالفعل والجواب المقترن بالفاء.

وإنه لما يغني عن هذا الإبعاد في التوجيه الرواية الصحيحة للحديث «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله» وقد جاءت في مسند ابن حنبل في سبعة

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩٤.

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٤.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ١٣٦.

مواضع<sup>(١)</sup> وفي صحيح البخاري في موضعين<sup>(٢)</sup>، وفي سنن ابن ماجة<sup>(٣)</sup>.  
ومجمل ما يتبدى من موقف أبي البقاء مع القليل من المشكل من الحديث الذي  
اشتمل عليه كتابه أن منه ما خطأه وحمله على سهو الراوي، ومنه ما بين وجه الصواب  
فيه ملتصقاً له وجهاً من التأويل.

(١) مسند ابن حنبل: ٢/٢٥٣، وص ٢٧ وص ٣٨٦ وص ٤١٦ وص ٤٦٧ وص ٤٧١ وص ٥١١.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٢٣٨ و ٤/٣٨٤.

(٣) سنن ابن ماجة: ٤/١.

## ابن مالك والحديث الشريف

نظر ابن مالك في (٢٨٩) مئتين وتسعة وثمانين حديثاً، وهو ما اشتمل عليه كتابه «شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح». وأكثر هذه الأحاديث من الصحيح في إعرابه وتراكيبه، ولا إشكال فيه، كما هو الشأن في الأحاديث المثبتة في المظان المعتمدة للحديث.

واشتمل (٧١) واحداً وسبعون حديثاً منها على ضرب من ضروب الإشكال، وقد جاء (٤٤) أربعة وأربعون من الأحاديث المشكلة برواية أخرى صحيحة لكل حديث، لا إشكال فيها جارية على ما هو صحيح من أحكام اللغة، فإذا طرحنا ما جاء برواية صحيحة مما أشكل من الواحد والسبعين حديثاً المشكلة تحصل لدينا (٢٧) سبعة وعشرون حديثاً مشكلاً.

وقد وجد ابن مالك لكل من هذه الأحاديث وجهاً يجري ما فيه ويبيحه، ولم يخطئ أي حديث منها، وبهذا فإن نسبة الأحاديث المشكلة السبعة والعشرين إلى مجموع الأحاديث التي اشتمل عليها كتاب ابن مالك، وهي (٢٨٩) حديثاً هي ٩,٧٪، أي أن نسبة غير المشكل منها إلى المشكل تزيد على ٩٠٪.

وقد رأينا أن نسبة الأحاديث الصحيحة التي في كتاب أبي البقاء العكبري «إعراب الحديث النبوي» الذي ألفه متوخياً توجيه ما أشكل من الحديث قد كانت تزيد على ٩٦٪ من مجموع الأحاديث التي اشتمل عليها، وعددها (٥٠٥) خمسمئة وخمسة أحاديث.

وإذا تأملنا الأحاديث الصحيحة في كل مصادر الحديث فإننا نجد في حدود هذه النسبة العالية، وكل ما فيها من الكلام يرقى إلى أن يكون من حديث النبي ﷺ، والكثير منها يحسن الاستشهاد به، وأن فيها ما يمكن إضافته إلى ما أخل به النحويون وما غفلوا

عنه من أوجه الإعراب ومن استعمال الأسماء والأفعال وحروف المعاني، على نحو ما توصل إليه ابن مالك.

وقد تمثلت في طائفة من الأحاديث ظواهر أسلوبية في اللغة والنحو وقف عليها ابن مالك للبيان والتفسير، ولا إخلال فيها أو إشكال متوخياً من ذلك التنبيه عليها؛ لما يعتقد في الحديث الشريف من علو الرتبة في الفصاحة والبيان.

من هذا الضرب ما جاء في قول النبي ﷺ: «أَوْ مَخْرَجِي هَمْ». إذ قال: «وأما قول النبي ﷺ «أَوْ مَخْرَجِي هَمْ» فالأصل فيه وفي أمثاله تقديم حرف العطف على الهمزة، كما يقدم على غيرها من أدوات الاستفهام، نحو ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ ونحو ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئْتَيْنِ﴾ ونحو: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾، ونحو ﴿فَأَيُّ تَوْفِيقٍ﴾ ونحو: ﴿أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾، ونحو ﴿فَأَيُّ تَذَهْبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا وجه لوقوف ابن مالك على هذه المسألة، فقد جاءت الهمزة متقدمة على الواو والفاء - عاطفتين وغير عاطفتين - في القرآن في نحو «١٦٥» مئة وخمسة وستين موضعاً<sup>(٢)</sup>. وهذا مما تختص به الهمزة، ومعلوم أنها تختص، بأمور تثبتها كتب النحو.

ومما يختلف به عنها أنها إذا وقعت في جواب الشرط لا تقترن بالفاء، كغيرها من أدوات الاستفهام الأخرى، في نحو قولنا: إن استعنت بك أتعييني، وهذا مما أحل به النحويون، إذ لا يذكرون حكم الهمزة مع الفاء حينما تقع في جواب الشرط في سياق كلامهم على اقتران جواب الشرط وجوباً بالفاء؛ إذا كان مسبقاً بأداة استفهام، ولهذا فإن المتكلمين والكاتبين لا يستعملون هذا الأسلوب، وإنما يعدلون إلى استعمال «هل» في هذا الموضع احتياطاً، فيقال: إذا استعنت بك فهل تعيني.

وقد جاءت الهمزة في جواب الشرط في القرآن على هذا النحو:

قال تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ آءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩٣.

(٢) معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، ص ١-١١.

(٣) الرعد/ ٥.

وقال: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقول ابن مالك تعقياً على قول النبي ﷺ: «أو مخرجي هم» فالأصل فيه... ربما يوهم أن الحديث جاء مخالفاً للأصل في استعمال الهمزة، وليس الأمر كذلك، فقد جاءت الهمزة في الحديث موافقة للأصل في استعمالها في القرآن في الكثير من الآيات. ووقف ابن مالك على قول أبي برزة ؓ: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أو ثماني».

وقد جاءت فيه ثماني غير منونة نصباً، فقال: «قلت: الأجود أن يقال سبع غزوات أو ثمانياً بالتثنية، لأن لفظ «ثماني» وإن كان كلفظ جوارى في أن ثالث حروفه ألف بعدها حرفان ثانيهما ياء فهو يخالفه في أن جوارى جمع وثمانياً ليست بجمع»<sup>(٢)</sup>.

وقول ابن مالك: «الأجود» يعني أنه يرى أن ما جاء في الرواية جيد، فقال في توجيهه: «... ومع هذا ففي قوله: «ثماني» بلا تنوين ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون أراد «أو ثماني غزوات، ثم حذف المضاف إليه وأبقى المضاف على ما كان عليه قبل الحذف، وحسن الحذف دلالة ما تقدم من مثل المحذوف، ومثله قول الشاعر:

خمس ذود أو ست عوضت منها      مئة غير أبكر وإفال

والأجدر هنا ألا يحمل ما جاء في النثر على ما جاء في شعر، وهو موضع ضرورة، فالشاعر مضطر فيه على حذف المضاف إليه ولا ضرورة في النثر، وقد عدل في الوجه الثاني عن حذف المضاف إليه، إذ قال: «الوجه الثاني أن تكون الإضافة غير مقصودة، وترك تنوين ثماني لمشابهته «جوارى» لفظاً ومعنى، أما اللفظ فظاهر، وأما المعنى فلأن ثمانياً وإن لم يكن له واحد من لفظه فإن مدلوله جمع.

(١) الإسراء/٤٩.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠١.



واستدل على عدم تنوين «ثمانى» نصباً يقول القائل:

**يُجِدُو ثَمَانِي مَوْلِعاً بَلْقَاحِهَا**

والشاعر هنا مضطر على ترك تنوين: ثمانى.

ولقد كان الأمثل بابن مالك أن يكتفي بالوجه الثاني فهو أرجح دون ذكر الشاهد الشعري، فمن أصول النحويين أن الحكم قد يحمل على الشبه اللفظي وحده، أو على الشبه المعنوي وحده، وقد اجتمع الشبهان في (جوارى) لما هو غير منصرف.

ومما وقف عليه ابن مالك مما لا إشكال فيه من الحديث قول رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث وعندي منه شيء، إذ قال: تضمن هذا الحديث ثلاثة أشياء:

أحدها: وهو أسهلها وقوع التمييز بعد مثل، ومنه «قوله تعالى» ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ فقد جاء الحديث موافقاً لما في القرآن، وأردف الآية بشاهدين آخرين على نصب التمييز بعد مثل، ثم قال:

**والثاني:** وقوع جواب لو مضارعاً منفيماً بما، وحق جوابها أن يكون ماضياً مثبتاً، نحو لو قام لقمتم، أو منفيماً بـ(لم) نحو: لو قام لم أقم<sup>(١)</sup>.

وحمل ذلك على وضع المضارع موضع الماضي، أو على تقدير كان، أي ما كان يسرني، وما في الحديث لا يحتاج إلى هذا النحو من التقدير إذ إن سياق الكلام الدال على ما لم يقع مؤد إلى استعمال المضارع في هذا الموضع، وليس في ذلك أي إخلال.

ويؤخذ من كلام ابن مالك تعقياً على قوله ﷺ: «ما يسرني أن يمر علي...» أن جواب «لو» لا يأتي منفيماً بـ(ما) وإنما يكون منفيماً بـ(لم) لأن حق جوابها أن يكون ماضياً، وليس الأمر كذلك، فقد جاء جواب لو منفيماً بـ(ما) في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن، خمسة منها في سورتي البقرة وآل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا﴾ (١).

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا﴾ (٢).

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (٣).

وقوله: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (٤).

أما الشيء الثالث الذي رآه في الحديث فهو وقوع «أن» زائدة بين (لا) و(ير) وحمله على قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ (٥).

ومن هذا الضرب مما لا إشكال فيه من الحديث «قول ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ ركب راحلته، ثم يهل حين تستوي به راحلته».

وذكر ابن مالك أنه يروى في رواية أخرى: حتى تستوي به راحلته، فقال: «قلت: هذا الموضع صالح لـ(حين) ولـ(حتى)».

أما صلاحيته لـ(حين) فظاهرة، وأما صلاحيته لـ(حتى) فعلى أن يكون قصد حكاية الحال، فأتى بـ(حتى) مرفوعاً بعدها الفعل، كقراءة نافع «وزلزلوا حتى يقول الرسول» وكقول العرب (مرض فلان حتى لا يرجونه) على تقدير: مرض فهو لا يرجى، وكذا تقدير الحديث: ثم يهل فإذا هي مستوية به راحلته، والمعنى أن إهلاله مقارن لاستواء راحلته به، ثم قال: «ولو نصب تستوي لم يجز؛ لأنه (٦) يستلزم أن يكون التقدير: ثم يهل إلى أن تستوي به راحلته، وهو خلاف المنصوص».

(١) البقرة/ ٢٥٣

(٢) آل عمران/ ١٥٢

(٣) آل عمران/ ١٥٦

(٤) آل عمران/ ١٦٨

(٥) الأعراف/ ١٢

(٦) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣٠

وليس ثمة ما يمنع هذا التقدير، إذ هو متفق مع دلالة «حتى» على انتهاء الغاية، فيكون المقصود: إنه ﷺ يستمر في إهلاله إلى أن تستوي به راحلته، والحديث في سياقه يحتمل دلالة (حين) ودلالة (حتى).

وابن مالك بعد منعه لهذا الوجه يعود فيجيزه، إذ يقول: «إلا أن يريد يهل بلا قطع حتى تستوي به راحلته.. فذلك جائز».

وأورد ابن مالك عدداً من الأحاديث استهلها بقول النبي ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال».

وليس في الحديث إشكال، فقال في توجيهه: «قلت: «يوشك» مضارع أوشك وهو أحد أفعال المقاربة، ويقتضي اسماً مرفوعاً وخبراً منصوب المحل، لا يكون إلا فعلاً مضارعاً مقروناً بـ(أن)»<sup>(١)</sup>.

ثم قال: «وقد يسند إلى «أن» والفعل المضارع فيسد مسد اسمها وخبرها، وفي هذا الحديث شاهد على ذلك».

فأوشك في هذا مثل «عسى» وقد أسند إلى أن والفعل في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن مالك قول النبي ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب».

فقال: «وقوله ﷺ: «وإما محسناً... وإما مسيئاً أصله: إما يكون محسناً وإما يكون مسيئاً، فحذف «يكون» مع اسمها مرتين وأبقى الخبر ثم قال: «وأكثر ما يكون ذلك بعد «إن» و«لو» كقول الشاعر:

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٠٣

(٢) الإسراء/ ٧٩

أنطق بحق وإن مستخرجاً إحناً  
فإن ذا الحق غلاب وإن غلبا  
وكقوله:

علمتك مئاناً فلست بأمل  
نداك ولو غرثان ظمآن عارياً<sup>(١)</sup>

أقول ويحتمل نصب «محسناً» و«مسيئاً». على الحال، على تقدير: لا يتمنين أحدكم الموت إما وهو محسن وإما وهو مسيء».

وليس في الحديث على تقدير الحال ما يحمل على تقدير حذف «يكون» واسمها، ولا ما يخالف اطراد حذف كان بعد «إن» و«لو».

ووقف على قول النبي ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء».

فقال: «... وفي ليس صلاة أثقل على المنافقين بعض إشكال، وهو أن يقال: «ليس من أخوات كان فيلزم أن تجري مجراها في أن لا يكون اسمها نكرة إلا بمصحح كالتخصيص وتقديم ظرف، كما يلزم ذلك في الابتداء، والجواب أن يقال: قد ثبت من مصححات الابتداء بالنكرة وقوعه بعد نفي، فلا يستبعد وقوع اسم كان المنفية نكرة محضة، كقول الشاعر:

إذا لم يكن أحد باقياً  
فإن التأسى دواء الأسى

وأما ليس فهي بذلك أولى لملازمتها النفي».

ثم قال: «وفي ليس صلاة أثقل» شاهد على استعمال ليس في النفي العام المستغرق به الجنس، وهو ما يغفل عنه، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على استعمال ليس في النفي العام قول الشاعر:

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٧

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٩

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

إذ أدت هنا مؤدى لا النافية للجنس، فمعناها: إذا ذهب العتاب فلا ود.  
وجاء في الحديث «فلما قدم جاءه بالآلف دينار».

ولم يأت ما فيه على ما هو معروف من تعريف العدد المضاف، وما هو مقيد لدى  
النحويين في هذا الشأن.

فقال ابن مالك في توجيهه: «قلت وقوع دينار بعد الألف ثلاثة أوجه:

أحدها: وهو أجودها أن يكون أراد: بالآلف ألف دينار على إبدال ألف المضاف  
من المعرف بالآلف واللام، ثم حذف المضاف، وهو البديل لدلالة المبدل منه عليه،  
وأبقى المضاف إليه على ما كان عليه من الجر».

ثم ذكر حديثاً آخر جاء فيه نظير ما ورد في هذا الحديث، وهو: «ثم قام فقراً  
العشر آيات» وحمله على هذا المحمل، على أن المراد فقراً العشر عشر آيات على حذف  
البديل، وبقي ما كان مضافاً إليه مجروراً<sup>(١)</sup>.

والأجدر أن يؤخذ بهذا الوجه من تعريف العدد المضاف، مادام قد ورد في  
شاهدين من الحديث الشريف، وهو أيسر من تعريف المضاف إليه الذي يقره  
النحويون: «ألف الدينار».

والأشيع في الاستعمال القول: حفظت العشرة أبيات، وأعطيته الألف دينار، إذ  
المراد في هذا السياق تعريف العدد وليس تعريف المعدود فإن الأحق بالتعريف بالآلف  
واللام في هذا الوجه هو العدد، لأنه المقصود بالذكر، وهو المراد التنبيه عليه والإعلام  
به، دون المعدود، إذ هو معروف ضمناً.

وهم يجرون العدد في هذا النحو على ما هو معروف في تعريف المضاف بالمضاف  
إليه.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١١٢.

والأجدر أن يكون «الألف دينار» حكماً خاصاً بصورة تعريف العدد، فالمضاف إليه هنا تمييز للعدد، وهو مخالف لسواه من المضاف إليه.

واستشهد ابن مالك لحمله «الألف دينار على حذف البدل بشاهدين هما قول الشاعر:

الأكل المال اليتيم بطرا      يأكل ناراً وسيصلى سقرا

وقول الآخر:

المال ذي كرم ينمي محامده      مادام يبذله في السر والعلن

أراد المال مال ذي كرم».

وأنت ترى أن ما في الشاهدين شديد البعد عن «الألف دينار»، مع ما اقتضته الضرورة فيهما، ثم إن أحكام العدد تختص به ولا تجري على غيره من صور الكلام، ولولا الضرورة لما قال: «الأكل المال اليتيم» وهو يريد: الأكل المال مال اليتيم، وليس في النثر ما يحمل على ارتكاب هذا النحو غير الجائز وغير السائغ من القول.

ومما وقف عليه من غير المشكل قوله ﷺ: «هو لها صدقة» إذ قال: «قلت يجوز في «هو لها صدقة» الرفع على أنه خبر «هو»، و«ها» صفة قدمت فصارت حالاً كقوله:

### والصالحاتُ عليها مغلقاً باب

فلو قصد بقاء الوصفية ل قيل: «والصالحات عليها باب مغلق» وكذا الحديث لو قصدت فيه الوصفية بـ«ها» ل قيل: هو صدقة لها، ويكون لها في موضع رفع»<sup>(١)</sup>.

وليس في الحديث ما يستدعي الوقوف عليه فالرفع والنصب في «صدقة» مستويان، وما استشهد به ابن مالك يختلف عما في الحديث، فصاحب الحال في الحديث الضمير في «ها» وهو معرفة، في حين أن صاحب الحال في الشاهد نكرة، ولا يجوز عند النحويين مجيؤه نكرة إلا إذا تأخر وتقدمت الحال عليه، كما في الشاهد.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١١٢.

وفي هذا يقول ابن مالك في ألفيته:

ولم ينكر غالباً ذو الحال إن لم يتأخر أو يخصص أو يبين<sup>(١)</sup>

والأرجح في «صدقة» أن تكون خبراً، لأنها هي المقصودة في الدلالة على المراد في الحديث، ولا وجه إلى الذهاب إلى الحالية، إذ لا يتم الكلام في «هولها» دون صدقة بحسب مقتضى الحديث.

وذكر قول النبي ﷺ: «قد كان من قبلكم ليمشطن بمشاط الحديد». فعده شاهداً على وقوع الجملة القسمية خبراً، لأن التقدير: قد كان من قبلكم «والله ليمشطن»، ثم قال: «وهذا في خبر كان غريب «ولنما يكثر في خبر المبتدأ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وكقول النبي ﷺ: «وقيصر ليهلكن ثم لا قيصر».

ورأى أن ما في الحديث وفيما جاء في كلام الله تعالى حجة على الفراء إذ قال: «وفي هذا حجة على الفراء في منعه أن يقال: زيد ليفعلن»<sup>(٢)</sup>.

وفي وقوع الجملة القسمية خبراً للمبتدأ في الآية إلزام بقبولها فيما كان أصله مبتدأ بالشاهدين: الآية والحديث.

ووقف ابن مالك على قول عبد الله بن مسعود ؓ: «أقرأنيها النبي ﷺ فاه إلى في». وذكر في نصب «فاه ثلاثة أوجه، إذ قال: وفي قوله: «فاه إلى في» ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون الأصل: جاعلاً فاه إلى في، فحذف الحال، وبقي معموله كالعوض منه.

الثاني: أن يكون الأصل: من فيه إلى في، فحذفت «من» وتعدى الفعل بنفسه، فنصب ما كان مجروراً.

(١) شرح ابن عقيل: ٦٣٢/١.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢١٩، ٢٢١.

الثالث: أن يكون مؤولاً بـ (متشافهين) كما يؤول: بعته يداً بيد «متناجزين»<sup>(١)</sup>.

ولا إشكال في هذا الحديث، وقد كان الأجدر بابن مالك أن يكتفي بالوجه الثالث، إذ إن نصب «فاه» جار على مجيء الحال لفظاً جامداً، فمن مواضع مجيئها لفظاً جامداً أن يكون اللفظ دالاً على مفاعلة، كما في قولنا سرنا يداً بيد، وسرنا يده بيدي، وتقدمنا كتفاً لكتف، وكتفه إلى كتفي، وقابلته وجهاً لوجه و: وجهه لوجهي، وفي هذه الأمثلة ونحوها يؤول اللفظ الجامد بحال مشتقة أي متماسكين ومتكاتفين ومتواجهين. وهذا أقرب وأيسر من «تقديره «جاعلاً» وحذفه، وتقدير حرف الجر «من» وحذفه.

وجاء في حديث سراقه بن مالك قوله للنبي ﷺ: «يا نبي الله مرني بم شئت». وفيه حذف ألف (ما) الموصولة لاقترانها بحرف جر. فقال ابن مالك: «وفي قول سراقه بن مالك بن جعشم: «مرني بم شئت شاهد على إجراء «ما» الموصولة مجرى ما الاستفهامية في حذف ألفها إذا جرّت. لكن بشرط كون الصلة «شاء» وفاعلها»<sup>(٢)</sup>.  
وعجيب هذا الشرط: أن لا نحذف ألف «ما» الموصولة في هذا الموضع إلا إذا كانت صلتها الفعل «شاء» وفاعله!

فما الذي يقصر هذه الحال على هذا الفعل دون غيره؟

كأن ابن مالك «يفصل» قاعدته على «مقاس» ما جاء في هذا الحديث بحيث لا تتعداه، وفي هذا دلالة ظاهرة على مقدار ما يضمه ابن مالك لما يرد في الحديث من الاعتبار، فيجعله يقيد قاعدته بهذا القيد العجيب. إذ إن كون «ما» موصولة يجعل كل فعل صالحاً لأن يكون صلته.

فبأي وجه تحذف ألفها في هذه الحال مع الفعل «شاء»، ولا تحذف إذا كانت الصلة فعلاً آخر؟

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٤٦.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٥١.



وما الذي يجعل الفعل «شاء» مختصاً بهذه الصفة دون غيره من الأفعال الأخرى التي تصلح أن تكون صلة لـ(ما)؟

وجاء في حديث النبي ﷺ قوله: «ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى»<sup>(١)</sup>. والنحويون يعدون مجيء «أحد» في الكلام الموجب من القليل غير الشائع، يقول الرضي في شرح الكافية «وقد يستعمل قليلاً «أحد» في الموجب بلا تنييف ولا إضافة استعمال «واحد»، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وابن مالك يذهب مذهب النحويين في هذا الشأن، فيقول معللاً مجيء أحد في الموجب في هذا الحديث «وفي لا أقول إن أحداً... استعمال أحد في الموجب لأن فيه معنى النفي، وذلك أنه بمعنى لا أحد أفضل من يونس». والمسوغ لمجيء أحد في الموجب عند ابن مالك في حديث النبي ﷺ أنه أتى في سياق نفي».

ولم يستشهد ابن مالك على ورود أحد في القرآن في الموجب، واكتفى بذكر شاهد شعري، وهو قول الفرزدق:

ولو سئلت عني نوار وأهلها إذا أحد لم تنطق الشفتان

ويرى أن «أحد» جاء في الموجب في الشاهد لوقوعه في سياق نفي، إذ قال: «فأوقع أحداً» قبل النفي، لأنه بعده بالتأويل، كأنه قال: إذا لم ينطق منهم أحد».

ولا ريب أن ورود الشيء في كلام الله ولو في موضع واحد إنما هو كثير في تفرد. وقد جاء أحد في الموجب وفي سياق إثبات في أربعة مواضع أخرى، سوى ما ذكره ابن الحاجب.

وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٧٢

(٢) شرح الرضي على الكافية: ٢٥٨/٣

(٣) آل عمران/ ٧٣.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ (١).

وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ (٢).

وقوله: ﴿فَأِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ (٣).

ولو استقرى أحد من الباحثين ورود «أحد» في الشعر في الموجب لوقع على الكثير من الشواهد، ومنها قول عمر بن أبي ربيعة:

إنما أهلك جيران لنا      إنما نحن وهم شيء أحد<sup>(٤)</sup>

فقد جاء أحد في الموجب مع التوكيد.

- ابن مالك يتقبل الخطأ في الرواية:

يرى ابن مالك أن ما عُذ من الحديث الشريف هو كلام النبي ﷺ وكلام صحابته ﷺ، خلافاً لما يراه أسلافه النحويون ومن تبعهم، إذ يرون أن الحديث مروى بالمعنى، بألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين، فهو كلامهم، وليس الكلام الذي نطق به النبي ﷺ، وكلام صحابته ﷺ في الأصل، ومن أجل هذا أحلوه في رتبة أدنى، من الشعر في مجال الاستشهاد به في نحوهم.

الأحاديث النبوية عند ابن مالك التي ترد في كل المظان منسوبة إلى النبي ﷺ بالعبارة الدالة عليه دلالة مباشرة: قال رسول ﷺ: هي كلامه حقاً وصدقاً، والكلام فيها عنده هو «كلام أفصح الفصحاء» و«أفصح الكلام» والكلام «الأفصح» و«أفصح الكلام المنثور» و«أحسن ما يستدل به»<sup>(٥)</sup>.

(١) النساء/٤٣.

(٢) التوبة/٦.

(٣) مريم/٢٦.

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ٥٤.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح: ص ٦٧ وص ٢٢٥ وص ١٣١ وص ٧٩ وص ٢٣٤ وص ١٣٤.

وهو متيقن من ذلك إلى الحد الذي يجعله يتقبل ما اشتمل على لحن بين وظاهر، والأولى فيه أن ينسب إلى خطأ في الرواية، وآية ذلك أنه يتقبل الحديث المروي بهذه الصورة: «كان الصاع على عهد النبي ﷺ مد وثلاث» برفع خبر كان والمعطوف عليه، وأقرب ما يقال فيه أنه خطأ في رواية من رواه هكذا، لكن ابن مالك لا يراوده شك في صورته التي أثرت، ولا يصححها أو ينكرها، وإنما هو يعمد إلى تأويل ما فيها على هذا النحو «... وأما كان الصاع... مُد وثلاث» فالأجود فيه جعل اسم كان ضمير الشأن، ويكون الصاع مبتدأ، ومد وثلاث خبره، والجملة خبر كان»<sup>(١)</sup>.

ومع ما في هذا التقدير من التكلف والبعد فإنه لم يرد في الكلام المنشور «كانه» وما بعده مبتدأ وخبر، ثم حذف ضمير الشأن، وبقاء المبتدأ والخبر مرفوعين اللذين هما: اسم كان وخبرها، وإذا كان في وجود ضمير الشأن ما يبطل عمل كان فالأوفق أن يكون في حذفه ما يعيد لها عملها، وإلا فما الوجه في إبطاله عملها مع وجوده وحذفه؟!

وهو ليس موجوداً أصلاً، وإنما الرواية الخطأ هي التي ألزمت افتراض وجوده، ثم يقول: «ويجوز أن يكون «مد خبر مبتدأ محذوف، والجملة خبر كان، والتقدير: كان الصاع قدره مد وثلاث».

وما هو أيسر من هذا كله حمل ما شاب الحديث من اللحن الظاهر على أنه من وهم الرواة وسهوهم وليس ذلك بمستبعد عن وقوعهم في مثله.

وبهذا القدر من الثقة بما بين يديه من الحديث يتقبل ابن مالك هذه الرواية للحديث: «إن لنفسك حق» المنسوبة إلى النبي ﷺ على ما فيها، إذ يقول: «... ونظيره إن كان المحذوف ضمير الشأن قول النبي ﷺ في بعض الروايات «وإن لنفسك حق»<sup>(٢)</sup>.

وما كان يحسن بابن مالك أن يقف على هذه الرواية، ويؤولها هذا التأويل، وهو

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٠٠

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٠٩

يعلم أنها إحدى روايات هذا الحديث، وأن ما عداها جاء على الصورة الصحيحة «إن  
 لنفسك حقاً»، فهي مخالفة لما هو فاش ومطرد في اللغة، وفي كلام الله تعالى، ففي  
 القرآن: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾<sup>(٢)</sup> و﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ  
 تُخَلَّفَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا  
 وَجَحِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>، و﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾<sup>(٦)</sup>، و﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(٧)</sup>، و﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(٧)</sup>.

وأن يدع ابن مالك هذا كله ليأتي بهذا التأويل لرواية خطأ مع ورود الحديث  
 برواية صحيحة، وهو يعلم بذلك، لقوله: «في بعض الروايات» ثم ينسبها إلى النبي ﷺ،  
 فإنما هو أمر ما كان يحسن بابن مالك أن يقدم عليه، ولا ريب أن الخطأ فيها إنما هو من  
 وهم الراوي.

وإذا قبلنا توجيه ابن مالك لهذه الرواية لزمنا أن نتقبل كل ما جاء مماثلاً لها، إذ  
 يكون من حق من يقول: إن لدي مال، وإن في الأمر شك، أن يقول إنه إنما أضمر  
 ضمير الشأن الذي أبطل عمل «إن» الظاهرة محذوفاً.

وانظر إلى ما يتجشمه ابن مالك من ضروب التكلف والبعد في توجيه ما جاء في  
 رواية خطأ أخرى في الحديث مع وجود الرواية الصحيحة له، إذ يقول: «... ومنها قول  
 عائشة ؓ في باب المحصب: وإنما كان منزل ينزله النبي ﷺ، تعنى المحصب». إذ يقول:  
 «قلت في رفع منزل ثلاثة أوجه، أحدها: أن تجعل ما بمعنى الذي واسم كان ضمير  
 يعود على «المحصب»، فإن هذا الكلام مسبوق بكلام ذكر فيه المحصب»، فقالت أم

(١) المائدة/ ٢

(٢) طه/ ٣٢

(٣) طه/ ٩٧

(٤) الحجر/ ٣٥.

(٥) النبا/ ٣١.

(٦) المزمل/ ١٢.

(٧) الشرح/ ٥-٦.

المؤمنين رضي الله عنها، إن الذي كانه المحصب منزل ينزله رسول الله ﷺ، ثم حذف خبر كان لأنه ضمير متصل، كما يحذف المفعول به إذا كان ضميراً متصلاً ويُستغنى بنيته، كقولك: زيد ضرب عمرو، تريد زيد: ضربه عمرو»<sup>(١)</sup>.

- وفي هذا الذي قاله ابن مالك أمور لا تخلو من الإبعاد والتكلف، وهي:
- أنه قال: إنها قالت: «إن الذي كانه المحصب منزل» وهي لم تقل ذلك، وإنما قالت: إنما كان منزل، فابن مالك يقولها ما لم تقله.
  - وأن الضمير في «كانه» هو خبر كان، ومنزل اسمها، وهذا ما لا يكون مجالاً؛ لأنه ضمير متصل بكان، وهو الأعراف والأولى بأن يكون اسمها.
  - وأن خبر كان الذي هو الضمير المتصل بكان حذف كما يحذف المفعول به، وهذا هو الأعجب والأغرب والأبعد، لأن خبر كان عمدة والمفعول به فضلة.
  - وأن الضمير المتصل بكان الذي هو خبرها في تقديره حذف كما يحذف في قولك: زيد ضرب عمرو، تريد زيد ضربه عمرو.

بهذه المجموعة من العجائب يوجه ابن مالك ما هو لحن ظاهر، وقع فيه غير قائله، وأيسر من ذلك كله والأقرب القول: إن الأصل في الحديث «كان منزلاً» لأنه مسبوق بكلام ذكر فيه «المحصب»، وقد جاءت الرواية الصحيحة للحديث هكذا<sup>(٢)</sup>.

وإلا فمن الذي يقول: «كانه» لكيلا لا ينصب خبر كان المجاور لها؟ ومن الذي يقول: زيد ضرب عمرو، يريد زيد ضربه عمرو؟ وابن مالك يتقبل ورود الخطأ الظاهر فيما جاء في سياق الحديث، وإن لم يكن منه، إذ يقف على قول أبي جهل: «متى يراك الناس قد تخلّفت...» ومتى هنا شرطية،

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٨٦.

(٢) صحيح البخاري: ٢/٢١١ (هامش المحقق).

فيقول: «ومنها قول أبي جهل لعنه الله تعالى لأبي صفوان: «متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل هذا الوادي تخلفوا معك». إذ يقول: «قلت: تضمن هذا الكلام ثبوت ألف يراك بعد «متى» الشرطية وكان حقها أن تحذف، فيقال: متى يرك، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنْأَ أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ، وفي ثبوتها أربعة أوجه.

ولأن الخطأ في هذا القول بين لاشك فيه نجد ابن مالك ينحو في توجيهه النحو الذي رأينا في المسألة السابقة، فيما يتبدى فيه من التكلف والبعء، إذ يقول في الوجه الأول: «أحدها: أن يكون مضارع: «راء» بمعنى رأى، كقول الشاعر:

إذا راءني أبدى بشاشة واصل      ويألف شتائي إذا كنت غابيا

ومضارعه «يراء» فجزم فصار «يرأ» ثم أبدلت همزته ألفاً فثبتت في موضع الجزم كما ثبتت الهمزة التي هي بدل منها، ومثلها «الم يبا» في وقف حمزة وهشام»<sup>(١)</sup>.

وما كان أغنى ابن مالك - رحمه الله - عن المضي في هذا القدر من التكلف، وهو ليس حديثاً، والأجدر أن يعد إحدى جهالات أبي جهل فلا يؤبه به.

والوجه الثاني نظير الوجه الأول في بعده، إذ يقول: «الثاني: أن تكون «متى» شبهت بـ(إذا) فأهملت، كما شبهت إذا بمتى فأعملت، كقول النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنها «إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين».

وما يبطل هذا الوجه أمران:

الأول: أنه لا وجه لمشابهة العامل لغير العامل حين لا يعمل، فمن شأن العامل أن يعمل في كل موضع، وغير العامل ألا يعمل في كل موضع، أما القول بتجرد العامل من عمله لمشابهته غير العامل، فإنما هو تعلقة لا ترد إلا حيثما يكتسب كل منهما غير صفته في بعض الكلام.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٧١.

وحين ترد الأداة غير عاملة فإن ذلك يرجع إلى المتكلم الذي لم يعملها، وهو حين لا يعملها لا يخطر على باله أنه شبهها بغيرها، مما لا يعمل، وآية ذلك أننا نجد أن الفعل يرد غير مجزوم بـ(لم) فبم شبهت لم حين ينطق بها المتكلم غير عامله؟ ونجد كان ترد غير ناصبة للخبر، فبأي فعل غير ناصب للخبر شبهت؟ إن الناطق بالأداة هو الذي يعملها أو لا يعملها، ولا مدخل لشبهها بغيرها في ذلك.

الثاني: أن لحديث النبي ﷺ رواية أخرى صحيحة جاء فيها جواب إذا «فكبراً... وسبحاً... واحمداً»<sup>(١)</sup>.

وقد خطأ أبو البقاء العكبري ما جاء نظيراً لما ورد في كلام أبي جهل، إذ قال: «وفي حديثه - عبد الله بن عباس - ألم ألقاكم على تلك الحال بالألف في هذا الموضع، والصواب: ألم ألقكم، بغير ألف مجزوماً بـ(لم)»<sup>(٢)</sup>.

ومما وجهه ابن مالك وهو مخالف للثابت الفاشي في اللغة الرواية المنسوبة إلى النبي ﷺ «من أكل من هذه الشجرة فلا يفشاناً»<sup>(٣)</sup>.

وحمله على جعل الكلام خبراً بمعنى النهي، إذ قال: «وجعل الكلام خبراً بمعنى النهي جائز، وأكثر ما يُجرى في المعتل مجرى الصحيح فيما أخره ياء أو واو، فمن ذلك قراءة قنبل: «إن من يتقي ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» وكذا قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمى      بما لاقت لبون بني زياد<sup>(٤)</sup>

وقد وقف أبو البقاء العكبري على نظير ما ورد في الحديث، ولم يعده صواباً؛ إذ قال: «وفي حديث سمرة بن جندب لا يتعاطى أحدكم أسير أخيه فيقتله»، الصواب: لا

(١) صحيح البخاري: ٢٤/٥ (هامش المحقق).

(٢) إعراب الحديث النبوي، ص ١١٣.

(٣) صحيح البخاري: ٢٠٥/١.

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٧٣.

يتعاطً بغير ألف لأنه نهي ثم قال: والأشبه أنه سهو، فإن وجد في كل الطرق هكذا فيؤول على وجهين، ذكر في الوجه الأول توجيه ابن مالك، وحمله على قوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾، وحمله في الوجه الثاني على إشباع الفتحة وجعلها ألفاً. ووجه ابن مالك طائفة من الروايات الخطأ في الحديث بإقحام لفظ في النص لإصلاح الخطأ الظاهر في كل منها، وما لا ريب فيه أن توجيه المشكل على هذا النحو إنما هو أيسر التوجيه وأهونه، فأنت لا تعدم في اللغة اسماً أو فعلاً أو حرفاً من حروف المعاني يهيم لك الحركة الإعرابية التي تريد لتصحيح أي خطأ إعرابي حيثما وجد، إذ يفصل العامل عن معموله.

ومما وجهه على هذا النحو قول بعض الصحابة رضي الله عنهم «كان الناس يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم عاقدي أزهرهم».

وقول صاحبة المزدتين: «عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوفاً»<sup>(١)</sup>.

إذ قال: «قلت: اعلّموا وفقكم الله أن «عاقدي أزهرهم» و«خلوفاً» منصوبان على الحال، وهما حالان سدتا مسد الخبر المسندين إلى «هم». و«نفرنا»، وتقدير الحديث الأول: وهم مؤتزون عاقدي أزهرهم، وتقدير الحديث الثاني: ونفرنا متروكون خلوفاً. ولفظتا «مؤتزون» و«متروكون» ليستا في الحديثين، وقد أقحمهما ابن مالك في كل منهما لتصحيح مجي خبر المبتدأ منصوباً، خلافاً لما يلزمه ظاهر اللفظ الذي تنبني عليه الأحكام، والحال السادة مسد الخبر لا تجري على هذا النحو، إذا اشترط النحويون فيها أن يكون المبتدأ مصدراً مضافاً إلى معموله أو اسم تفضيل مضافاً إلى مصدر، نحو: احترامي الرجل صادقاً وأفضل كسبك المال حلالاً، وابن مالك أدري بذلك، ويبدو أن ما لمح من الخطأ الظاهر في الروایتين هو الذي حمله على أن يذهب بعيداً إلى الحال السادة مسد الخبر لتوجيه ما فيهما، إذ إن نصب (عاقدي) و(خلوفاً) لا بد أن يكون على الحال، وقد جاء كل منهما بعد مبتدأ.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٧٠.



وليست ثمة حاجة إلى هذا التوجيه البعيد، فلكل من الحديثين رواية صحيحة «وهم عاقدون» و«نفرنا خلوف».

ووقف ابن مالك على الرواية المنسوبة إلى النبي ﷺ: «فهل أنتم صادقون»<sup>(١)</sup>. وقد جاء هذا القول في رواية صحيحة: فهل أنتم صادقيّ.

فقال في توجيهه: «فهل أنتم صادقون»، «قلت: مقتضى الدليل أن تصحب نون الوقاية الأسماء المعربة المضافة إلى ياء المتكلم لتقيها خفاء الإعراب، فلما منعوها ذلك كان كأصل متروك، فنبهوا عليه في بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل، كقول الشاعر:

وليس بمعيني وفي الناس ممتع      صديق إذا أعيأ عليّ صديق

وكقول الآخر:

وليس الموافيني ليرقد خائباً      فإن له أضعاف ما كان أملاً

ومنه قول النبي ﷺ لليهود «فهل أنتم صادقون»<sup>(٢)</sup>. والنحويون يخطئون وقوع ذلك في الشر.

ومما يرجح توجيه ابن مالك لما في الشاهدين أنه ليس من أثر الضرورة، إذ لا يختل الوزن إذا قيل: وليس بمعينيّ، وليس الموافينيّ.

ومما جاء في الحديث من الخطأ في الرواية: الحديث «كان يصلي جالساً، فإذا بقي من قراءته نحواً من كذا».

وللحديث رواية صحيحة «... فإذا بقي من قراءته نحو...»<sup>(٣)</sup>.

فلا وجه معها لذكر الرواية الأخرى التي تشتمل على خطأ ظاهر بنصب ما هو فاعل بحسب مقتضى السياق.

(١)، (٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٧٨.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٨٦، وينظر هامش المحقق.

ولأن الخطأ ظاهر فإن ابن مالك يعمد إلى المزيد من التكلف والإبعاد لإجرائه، إذ يقول: «قلت من روى نحو من كذا بالرفع فلا إشكال في روايته وإنما الإشكال في رواية من روى «نحواً» بالنصب.

ويرى ابن مالك في نصب «نحواً» وجهين، إذ يقول: «... وفيه وجهان أحدهما أن تكون «من» زائدة، ويكون التقدير: فإذا بقي قراءته نحواً، فقراءته فاعل بقي، وهو مصدر مضاف إلى الفاعل ناصب «نحواً» بمقتضى المفعولية».

وإذا كان في «قراءته نحواً» يجعل المصدر المضاف إلى فاعله عاملاً ناصباً لمفعوله ما يمكن تقبله في غير هذا السياق فإن ما يبعده في هذا الموضع هو أن «نحواً» لا يكون مفعولاً للمصدر إلا بجعل «من» زائدة، ولا وجه لزيادتها إلا لإجراء هذا التوجيه، وما هو أقرب وأيسر، كما يتضح من ظاهر السياق أن «من» دالة في موضعها على غير التوكيد الذي يأتي مع زيادتها، وأن فاعل الفعل (بقي) هو «نحو» ولا يكون غير ذلك إلا مع التمثل والبعث، وإلا حينما يكون المراد إجراء ما هو مخالف لما يدل عليه الظاهر البين من السياق، وجمهورهم لا يميزون زيادة (من) في الواجب، وقد جاءت (قراءة) مذكورة في «بقي قراءته» لإتمام المراد من هذا التوجيه.

ولا ريب أن وجود الرواية الصحيحة للحديث يجعل كل ما قاله ابن مالك في هذا الشأن من فضول الكلام المستغنى عنه.

ومما وجهه ابن مالك وهو مخالف لما استقر لدى النحويين من أحكام النحو ما ورد في الحديث «فهل أنتم تاركولي صاحبي».

وقد جاء الحديث في رواية صحيحة «فهل أنتم تاركون لي صاحبي».

وعد ابن مالك ما في الحديث من قبيل الفصل بين المضاف والمضاف إليه بجار ومجرور ومنه قول الشاعر:

فرشني بخير لا أكونن ومدحتي      كناحت يوماً صخرة بعسيل<sup>(١)</sup>

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٣.

وقد وقف البقاء العكبري على هذه الرواية، وعدّها من غلط الرواة «إذ قال: ...» وفي هذا الحديث «هل أنتم تاركولي صاحبي» الوجه: «تاركون» لأن الكلمة ليست مضافة، لأن حرف الجر منع الإضافة وإنما يجوز حذف النون في موضعين، أحدهما: الإضافة ولا إضافة هنا، والثاني: إذا كان تاركون بالألف واللام مثل قول الشاعر الحافظ عورة العشيّة.

والأشبه أن حذفها من غلط الرواة»<sup>(١)</sup>.

ومما يكشف موقف ابن مالك - رحمه الله - من الحديث، ويظهر مدى تسامحه في تقبل ما بعد وندّ عن أحكام اللغة من الروايات توجيهه لقول خباب رضي الله عنه: «فلم يترك إلا نمرّة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غُطيَ رجله بدأ رأسه».

والفعل في «غُطيَ رجله» مبني للمجهول.

يقول ابن مالك: «قلت: المشهور «وإذا غطينا رجله خرج رأسه ولا إشكال فيه».

فالرواية المشهورة هي الرواية الصحيحة، وهي الأمثل عطفاً على غطينا الأولى، ولا وجه لبناء الثانية للمجهول، وهم الفاعلون، فما الذي يحمل إذن على التوجه إلى الرواية الخطأ والوقوف عليها؟ ثم يكون التوجيه بهذا القدر من التكلف، إذ يقول في توجيه نصب ما هو نائب عن الفاعل: «والوجه في نصبه أن يكون غطي مسنداً إلى ضمير النمرّة على تأويل «كفن»، وتضمين «غُطيَ» معنى «كُسي» أو إلى ضمير الميت، وتقدير «على» جارة لـ «رجليه»<sup>(٢)</sup>.

بهذا القدر من التكلف يتحصل نصب «رجليه» أو جره من «غطي رجله فالنمرّة ليست نمرّة، وإنما هي كفن، وغُطي ليس هو هذا الفعل، وإنما هو على معنى «كُسي» والأحكام كما هو معلوم إنما تجري على ظاهر اللفظ، وليس على ما يتراءى لمن يريد أن يجعل الخطأ صحيحاً بخفي التأويل.

(١) إعراب الحديث النبوي، ص ١٦٥.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٦.

وعجيب أن يُكسى الميت، إذ من المعلوم أن الإكساء لا يتوافق مع الكفن والميت، فهو في حال يتجرد فيها عما اكتساه، فلا يكسى بعد موته، وليس ثمة ما يحمل على أن يكون «غطي» بمعنى «كسي» في هذه الحال. ثم إن رجليه يجوز أن تكون مجرورة بحرف الجر «على» والسياق لا يحتمله ولا يؤدي إليه.

أو ليس الأجدر والأسلم التمسك بالرواية المشهورة الصحيحة وتجاهل الرواية الأخرى دون التجشم لها كل هذا القدر من التكلف والإبعاد في التأويل.

وجاء الفعل المضارع مرفوعاً بعد «حتى» في قول البراء بن عازب رضي الله عنه: «... إذا رفع رأسه من الركوع قاموا قياماً حتى يرونه قد سجد»<sup>(١)</sup>.

فقال ابن مالك في توجيهه: «وفي قاموا قياماً حتى يرونه قد سجد إشكال؛ لأن «حتى» فيه بمعنى إلى أن، والفعل مستقبل بالنسبة إلى القيام فحقه أن يكون بلا نون لاستحقاقه النصب، لكنه جاء على لغة من يرفع بعد «أن» حملاً على «ما» أختها كقراءة مجاهد «لمن أراد أن يتم الرضاعة، بضم الميم، وكقول الشاعر:

**أن تقرأن على أسماء مني السلام وأن لا تشعرا**

وليس في حمل العامل على غير العامل في موضع نادر وجه مقبول، أما قول الشاعر: فهو موضع ضرورة، بدليل أنه أثبت النون حين احتاج إليها لإقامة الوزن، وحذفها حين استقام الوزن دونها في قوله: «وأن لا تشعرا».

وقد خطأ أبو البقاء العكبري ما جاء نظيراً لهذا الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات» إذ قال: «وفي هذا الحديث: حتى ترون، ولا وجه له لأن حتى ههنا بمعنى إلى أن»<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ١/ ١٨٠، شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٣٤، وفي رواية (حتى يروه) هامش المحقق.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٣٦.

(٣) إعراب الحديث النبوي، ص ٧٦.

ويمضي ابن مالك في هذا النحو من الإبعاد في توجيه ما كان ظاهر الخطأ من الروايات التي لا يدرك توجيهها إلا بالبعيد من التأويل، كما في توجيهه الرواية الخطأ المنسوبة إلى النبي ﷺ: «يكفيك الوجه والكفين» إذ قال: «وفي جر الوجه من «يكفيك الوجه والكفين» وجهان:

أحدهما: أن يكون الأصل «يكفيك مسح الوجه، فحذف المضاف وبقي المجرور به على ما كان عليه».

وبإقحام لفظ في النص لا يتعذر توجيه أي خطأ مهما بعد وإلا فكيف يعمل المحذوف ولا يعمل اللفظ الظاهر المباشر للاسم المتجه إليه بالمعنى. ويقول في الوجه الثاني:

والثاني: أن يكون الكاف حرف جر زائداً، كما هو في ليس كمثله شيء: أي ليس مثله شيء، لا بد من الحكم بزيادته، لأن عدم زيادته يستلزم ثبوت «مثل» «لا شيء مثله» ومثل كاف كمثله كاف «كأمثال اللؤلؤ المكنون»<sup>(١)</sup>.

يريد بقوله في الوجه الثاني: «الكاف حرف جر زائد» الكاف في يكفيك الذي هو الضمير، إذ يتراءى له أن الأصل فيه: يكفي كالوجه والكفين».

ومثل هذا التصور البعيد لا نجدُهُ إلا في الألغاز النحوية، وما هو أبعد من هذا كله أنه يحمل «يكفي كالوجه والكفين» الذي لا يدركه إلا ذهن ابن مالك على قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» ولا مقارنة بينهما من أي وجه.

ثم تجد أن ابن مالك يدع زيادة الكاف في يكفيك إلى بيان لزوم الإقرار بزيادة الكاف في «كمثله» و«كأمثال» وزيادتها في هذين الموضعين لا تصلح أن تكون حجة لزيادة الكاف في «يكفيك».

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٥٦.

---

ومما يهون الأمر في هذا الشأن أن ابن مالك نفسه بدا غير مقتنع بما ذهب إليه بزيادة الكاف في يكفيك، إذ قال: «ويجوز على هذا الوجه رفع «الكفين» عطفاً على موضع الوجه فإنه فاعل، وأن رفع «الوجه» وهو الوجه الجيد المشهور، فالكاف ضمير المخاطب، ويجوز في «الكفين» حيتئذٍ الرفع بالعطف، وهو الأجود، والنصب على أنه مفعول معه».

وقد جاء هذا الحديث في رواية صحيحة «يكفيك الوجه والكفان» وفيها ما يغني عن النظر في الرواية الخطأ، وتجشم هذا القدر من التكلف لإجرائها واقتراف نسبتها إلى النبي ﷺ مع ما فيها من العوار.

## ابن مالك يستدرك على النحويين

## من الحديث الشريف ما أخلوا به في النحو

الحديث النبوي الشريف عند ابن مالك - رحمه الله - شاهد معتبر، خلافاً لما يتوهمه أسلافه النحويون، تقرر بموجبه الأحكام النحوية، وأنه يلي كلام الله تعالى بالمنزلة، وبمقدار الثقة به في مجال الاستشهاد، وهو إلى ذلك أولى من الشعر وأوفق لما يستشهد به لأحكام اللغة الواردة في النثر، إذ هو يراه «كلام أفصح الفصحاء» وهو «الأفصح» و«أفصح الكلام المنثور»، و«أفصح ما يستدل به».

وقد تيسر لابن مالك أن يتوصل إلى طائفة من الأحكام الإعرابية، ومن صور استعمال الأفعال والأسماء وحروف المعاني استخلصها من الحديث، أخل بها النحويون وغفلوا عنها، بما يكتنه للحديث الشريف من الاعتبار، والثقة بأن الغالب مما يأتي منسوباً إلى النبي ﷺ في مظان الحديث المعتبرة، وفي كتب التراث الدينية والأدبية وغيرها إنما هو من الصحيح السليم في نسبه إليه وإلى صحابته، إذ من يجروء على أن يضع ألفاظه موضع ألفاظ النبي ﷺ ليؤدي معنى ما أراده؟، وهل تؤدي ألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين - كما يزعم النحويون - ما أراده رسول الله ﷺ بألفاظه على نحو دقيق؟

وقد كشف ابن مالك بما استدركه على النحويين جانباً بارزاً من إخلالهم بما هو وارد في اللغة، جاء ذلك عرضاً في سياق توجيهه لروايات وردت في كتاب «الجامع الصحيح» لأبي عبد الله البخاري (ت ٢٥٦).

فمما أخذه على النحويين ما غفلوا عنه من استعمال «إذ» للاستقبال، مستدلاً بقول ورقة بن نوفل: «يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك» إذ قال: «وقوله إذ يخرجك قومك استعمال فيه «إذ» موافقة لـ «إذا» في إفادة الاستقبال، وهو استعمال صحيح،

غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد غفل النحويون عما ورد في كلام الله تعالى وفي الحديث الشريف من مجيء «إذ» دالة على الاستقبال، وما ذلك إلا لأنهم جارون على ما أقره الخليل ابن أحمد الفراهيدي في هذا الشأن.

يقول سيويه: «وسألته عن إذا... فقال: الفعل في «إذا» بمنزلة في «إذ» إذا قلت: أتذكر إذ تقول، فإذا فيما تستقبل بمنزلة إذ فيما مضى»<sup>(٢)</sup>.

وذكر السيوطي أن جمهور النحويين ينكرون استعمال «إذ» للمستقبل، وحملوا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ على قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ «من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الماضي الواقع»<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت «إذ» دالة على الاستقبال في مواضع أخرى فضلاً عما ذكره ابن مالك في القرآن:

منها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى النَّارِ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٦٢.

(٢) الكتاب: ٦٠/٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ١٤٧/١.

(٤) البقرة/ ١٦٥.

(٥) الأنعام/ ٢٧.

(٦) الأنعام/ ٣٠.

(٧) الأنعام/ ٩٣.



وقوله: ﴿ وَتَوَرَّتْ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت «إذ» دالة على الاستقبال في «يومئذ» بما يربو على الثلاثين موضعاً منها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿ وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ أَمِنُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقد غفل النحويون عن كل هذا، وعن كثير غيره.

وفضلاً عن هذا فقد جاءت (إذ) مشاكلة لـ(إذا) الشرطية في القرآن في دلالتها على الاستقبال وفي اقتران جوابها بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾<sup>(٧)</sup>. وفي قوله: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾<sup>(٨)</sup>.

وهذا مما غفل عنه النحويون أيضاً.

ونبه ابن مالك على ما وقع فيه النحويون من الوهم في أن (يا) التي تليها (ليت) حرف نداء والمنادى محذوف، إذ قال: «قلت يظن أكثر الناس أن «يا» التي تليها «ليت»

(١) سبأ/ ٣١.

(٢) النساء/ ٤٢.

(٣) طه/ ١٠٢.

(٤) طه/ ١٠٩.

(٥) النمل/ ٨٩.

(٦) الروم/ ٤.

(٧) النور/ ١٣.

(٨) الأحقاف/ ١١.

حرف نداء، والمنادى محذوف، فتقدير قول ورقة على هذا: «يا محمد ليتني كنت حياً» وتقدير قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ﴾: «يا قوم ليتني كنت معهم»، وهذا الرأي عندي ضعيف، لأن قائل: «يا ليتني» قد يكون وحده، فلا يكون معه مُنادى ثابت ولا محذوف، كقول مريم عليها السلام: «يا ليتني مت قبل هذا». ولأن الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضع الذي ادعي فيه حذفه مستعملاً فيه بثبوت<sup>(١)</sup>.

يريد أنه إذا ورد في الاستعمال ظهور المنادى بين «يا» و«ليت» دل ذلك على صحة تقديره عند حذفه، ولم يرد في الاستعمال ظهور المنادى بين يا وليت، فلا وجه لتقديره معهما.

وأخذ ابن مالك على النحويين أنهم يستضعفون وقوع الشرط مضارعاً والجواب ماضياً لفظاً لا معنى، واستشهد لذلك بقول النبي ﷺ: «من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن أبا بكر رجل أسيف، متى يقم مقامك رق» ثم قال: «قلت: تضمن الحديثان وقوع الشرط مضارعاً والجواب ماضياً لفظاً لا معنى، والنحويون يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، والصحيح الحكم بجوازه مطلقاً لثبوته في كلام أفصح الفصحاء، وكذلك صدوره عن فحول الشعراء»<sup>(٢)</sup>.

واستشهد على ذلك بتسعة شواهد شعرية.

وصحح ابن مالك مجيء المستثنى مرفوعاً في الاستثناء التام المثبت، إلا أنه قيده بقيد، مستدلاً بقول عبد الله بن أبي قتادة رضي الله عنهما: «أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم».

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٥٩.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٦٧.

وقول النبي ﷺ: «كل أمي معافى إلا المجاهرون» وبعد أن بين الحجة في ذلك قال: «ولا يعرف أكثر المتأخرين من البصريين في هذا النوع إلا النصب، وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر ومحدوفه، فمن الثابت الخبر قول ابن أبي قتادة: أحرموا كلهم إلا أبو قتادة لم يحرم، فإلا بمعنى لكن، وأبو قتادة مبتدأ، ولم يحرم خبره».

واستدل على ذلك بقراءة ابن كثير وأبي عمرو، إذ قال: «ونظيره من كتاب الله تعالى قراءة ابن كثير وأبي عمرو «ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبيها ما أصابهم»، و(امراتك) مبتدأ والجملة بعدها خبر، ولا يصح أن تجعل «امراتك» بدلاً من أحد لأنها لم تسر معه»<sup>(١)</sup>.

ومما يرى ابن مالك أن النحويين قد أدخلوا به مجيء المبتدأ نكرة بعد «إذا» الفجائية وبعد واو الحال، فاستدرك ذلك عليهم مستشهداً بالحديث الشريف إذ قال: «... ومنه وقوع المبتدأ نكرة محضة بعد إذا المفاجأة وواو الحال كقول بعض الصحابة ﷺ: إذا رجل يصلي، وكقول عائشة رضي الله عنها ودخل رسول الله ﷺ وبرمة على النار، ومثله: فدخل وحبل ممدود».

وعضد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وليست الواو هنا عاطفة، فـ(طائفة) الثانية مرفوعة.

وأردف ذلك بعدد من الشواهد جاء فيها المبتدأ نكرة بعد إذا الفجائية وبعد واو الحال، وقال في ختام ذلك: «وإنما ذكرت من القرائن ما يناسب إذا الواو في كون النحويين لا يذكرونه، ولم أقصد استقصاءها»<sup>(٣)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩٤.

(٢) آل عمران/ ١٥٤.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٩٩.

وأخذ على النحويين إغفالهم التنبيه على جواز حذف اللام الفارقة بعد «إن» المخففة إذا أغنى السياق عنها مستدلاً بالأحاديث: قول رسول الله ﷺ: «وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي» وقول عبد الله بن بسر: «إن كنا فرغنا في هذه الساعة، وقول معاوية: «إن كان من أصدق هؤلاء» وقول نافع: «كان عمر يعطي عن الصغير والكبير حتى إن كان يعطي عن بني».

وعقب عليها قائلاً: «قلت: تضمنت هذه الأحاديث استعمال «إن» المخففة المتروكة العمل عارياً ما بعدها من اللام الفارقة لعدم الحاجة إليها»<sup>(١)</sup>.

وأيد ذلك بشواهد أخرى من الحديث الشريف وشواهد الشعر، ثم ختم ذلك بالقول: «وقد أغفل النحويون التنبيه على جواز حذف اللام عند الاستغناء عنها بكون الموضوع غير صالح للنفي، وجعلوها عند ترك العمل لازمة على الإطلاق، ليجري الباب على سنن واحد، وحاملهم على ذلك عدم الاطلاع على شواهد السماع، فبينت إغفالهم، وثبت الاحتجاج عليهم لا لهم»<sup>(٢)</sup>.

ومما أخل به النحويون واستدركه عليهم ابن مالك - رحمه الله - ثبوت خبر المبتدأ بعد لولا، مستدلاً بقول النبي ﷺ: «يا عائشة لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة، فجعلت لها بايين، ثم قال: «قلت تضمن هذا الحديث ثبوت خبر المبتدأ بعد لولا، أعني قوله: لولا قومك حديثو عهد بكفر، وهو ما خفي على النحويين إلا الرماني وابن الشجري».

وذكر معه حديثاً آخر، وهو قول عبد الرحمن بن الحارث لأبي هريرة «وإني ذاكر لك أمراً، ولولا مروان أقسم علي فيه لم أذكره لك».

وأردف ذلك بشاهدين شعريين هما قول الشاعر:

ولولا زهير جفاني كنت ولم أكن جانحاً للسلم إذ جنحوا

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٤

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٦

وقول الآخر:

لولا ابن أوس نأى ما ضميم يوماً ولا نابه وهن ولا حذر  
 وختم هذه المسألة قائلاً: «ومن هذا النوع قول أبي العلاء المعري في وصف سيف:

فلولا الغمد بمسكه لسالا

وقد خطأه بعض النحويين، وهو بالخطأ أولى»<sup>(١)</sup>.

ووجدت في شعر الراعي النميري شاهداً آخر يرجح ما جاء في الحديث ، ويعضد ما احتج به ابن مالك له ، وهو قوله :

لولا سعيد ارجي ان الاقيه ما ضمها في سواد البصرة الدور<sup>(٢)</sup>

ومما يرجحه ايضاً قول حسان بن ثابت :

لولا الذي لاقت ومس نسورها بجنوب ساية امس بالتقواد  
 افنى دوابرها ولاح متونها يوم تقاد به ويوم طراذي  
 للقيتكم يميلن كل مدجج حامى الحقيقة ماجد الاجداد<sup>(٣)</sup>

فقد جاء جواب «لولا» في البيت الثالث بعد ان اكتمل للمبتدأ الخبر .

ومما يصلح ان يكون شاهداً لظهور الخبر بعد «لولا» توثيقاً لما ورد في الحديث الشريف قول النابغة الذبياني :

لولا جائل من نعم علقت بها لا قصر القلب عنها اي اقصار<sup>(٤)</sup>

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٢.

(٢) شعر الراعي النميري ، ص ١٤٢ .

(٣) ديوان حسان بن ثابت ، ص ٦٥ .

(٤) ديوان النابغة الذبياني ، ص ١٩ .

فجباثل مبتدأ ، وقد وصف بـ «من نعم» والخبر علقت بها ، كأنه قال : لولا جباثل نعم علقت بها .

واستدرك ابن مالك على النحويين استعمال الفعل «حوّل» بمعنى صيّر، وشاهده قول رسول الله ﷺ: «ما أحب أنه يجول لي ذهباً».

وبين ذلك قائلاً: «قلت: تضمن هذا الحديث استعمال «حول» بمعنى: صيّر وعاملة عملها، وهو استعمال صحيح خفي على أكثر النحويين، والموضع الذي يليق أن يذكر فيه باب «ظن» وأخواتها، لأنها تقتضي مفعولين هما في الأصل مبتدأ وخبر»<sup>(١)</sup>.

وصحح ابن مالك مجيء خبر (كاد) مقترناً بـ(أن) في النثر مستدلاً بأربعة أحاديث، وهي «قول عمر ؓ: «ما كدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب» وقول أنس: «فما كدنا أن نصل إلى منازلنا» وقول بعض الصحابة: «والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج»، وقول جبير بن مطعم: «كاد قلبي أن يطير»<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما منعه سيبويه في النثر، وقصر مجيئه على الشعر<sup>(٣)</sup>، وامثل الناس المحترزون في كلامهم لما أفتى به سيبويه، وقد ورد خبر كاد مقترناً بـ(أن) في النثر في كلام الفصحاء والأدباء وأصحاب المعاجم.

وعقب ابن مالك على ذلك قائلاً: «قلت تضمنت هذه الأحاديث وقوع «كاد» مقروناً بـ(أن) وهو مما خفي على أكثر النحويين، أعني وقوعه في كلام لا ضرورة فيه، والصحيح جواز وقوعه، إلا أن وقوعه غير مقترن بأن أكثر وأشهر من وقوعه مقروناً بأن، ولذلك لم يقع في القرآن إلا غير مقرون بـ(أن)<sup>(٤)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٢٥ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٦٣ .

(٣) الكتاب: ٣ / ١٦٠ .

(٤) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٥٩ .

واستدل بالقياس على صحة اقتران خبر «كاد» بـ(أن) قائلاً: «ولا يمنع عدم وقوعه في القرآن مقروناً بـ(أن) من استعماله قياساً لو لم يرد به سماع، لأن السبب المانع من اقتران الخبر بـ(أن) في باب المقاربة هو دلالة الفعل على الشروع كطفق وجعل، فإن (أن) تقتضي الاستقبال، وفعل الشروع يقتضي الحال فتنافياً، وما لا يدل على الشروع كـ(عسى) وأوشك وكرب وكاد فمقتضاه مستقبل، فاقتران خبره بـ(أن) مؤكد لمقتضاه، فإنها تقتضي الاستقبال، وذلك مطلوب، فمانعه مغلوب، فإذا انضم إلى هذا التعليل استعمال فصيح، ونقل صحيح، كما في الأحاديث المذكورة تأكد الدليل، ولم يوجد لمخالفته سبيل».

وأورد في هذا السياق شاهد سيبويه، وهو قول الشاعر:

فلم أر مثلها خباسة واحداً ونهنت نفسي بعد ما كدت

ثم قال: «وقال: «سيبويه»: أراد بعد ما كدت أن أفعله فحذف «أن» وأبقى عملها».

فعقب ابن مالك على قول سيبويه قائلاً: «وفي هذا إشعار باطراد اقتران خبر كاد بـ(أن) لأن العامل لا يحذف ويبقى عمله إلا إذا اطرده ثبوته»<sup>(٢)</sup>.

وحسبه بها حجة - رحمه الله - .

وما أخذه على النحويين منعهم العطف على ضمير الرفع المتصل في النشر، فأجاز ذلك مستدلاً بما جاء في الحديث الشريف في قول علي عليه السلام: «كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر» وقول عمر رضي الله عنه: «كنت وجار لي من الأنصار».

وبين ذلك قائلاً: «وتضمن الحديث الثاني والثالث صحة العطف على ضمير

(١) الكتاب، ٣٠٧/١ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٦١ .

الرفع المتصل غير مفصول بتوكيد أو غيره، وهو مما لا يميزه النحويون في النثر، إلا على ضعف، ويزعمون أن بابه الشعر والصحيح جوازه نثراً ونظماً، فمن النثر ما تقدم من قول علي وعمر رضي الله عنهما، ومنه قوله تعالى: «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، فإن واو العطف فيه متصلة بضمير المتكلمين، ووجود (لا) بعدها لا اعتداد به، لأنها بعد العاطف، ولأنها زائدة إذ المعنى تام بدونها»<sup>(١)</sup>.

وابن مالك يرد هنا على المتأخرين الذين أجازوا العطف على الضمير المرفوع المتصل بمسوغ وجود لا النافية<sup>(٢)</sup>.

ونبه ابن مالك على جهل أكثر النحويين ضرباً من ضروب التنازع، إذ أورد الحديث، وهو قول أبي شريح الخزاعي «سمعت أذناي وأبصرت عيناي النبي ﷺ حين تكلم». فقال: «قلت في هذا الحديث تنازع الفعلين مفعولاً واحداً، وإيثار الثاني بالعمل، أعني أبصرت، لأنه لو كان العمل لسمعت لكان التقدير: سمعت أذناي النبي ﷺ، وكان يلزم مع مراعاة الفصاحة أن يقال: وأبصرته». ثم قال: «وفي الحديث المذكور شاهد على أنه قد يتنازع منصوباً واحداً فعلاً فاعلين متباينين، فيستفاد من «سمعت أذناي وأبصرت عيناي النبي ﷺ» جواز: أطعم زيد وسقى محمد جعفرأ، وأكثر النحويين لا يعرفون هذا النوع من التنازع واستشهد على هذا الضرب من التنازع بقول الشاعر:

أصببت سعاد وأضنت زينب      ولم ينل منهما عيناً ولا أثراً<sup>(٣)</sup>

واستدرك ابن مالك على النحويين إجراء الفعل (عدّ) مجرى «ظن» معنى وعملاً، وذكر أن هذا مما أغفله أكثر النحويين، واستدل على ذلك بالحديث، «إذ سئل النبي ﷺ: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين».

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢/٢٣٧.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٨١.



وعقب على هذا الحديث قائلاً: «وإجراء (عد) مجرى (ظن) معنى وعملاً مما أغفله أكثر النحويين، وهو كثير في كلام العرب. واستشهد لهذا المعنى بثلاثة شواهد شعرية (١).

والغريب أن هذا المعنى للفعل «عد» الذي تأخرت معرفة أكثر النحويين به حتى زمن ابن مالك هو مما ألزمتنا المصححون في هذا الزمان إحلاله محل الفعل «اعتبر» للمعنى نفسه، لأنهم لا يميزون استعمال اعتبر بمعنى «عد».

وقد تكشف لنا أن استعمال «اعتبر» بهذا المعنى صحيح، وارد في اللغة<sup>(٢)</sup>.

وأورد ابن مالك جانباً من حديث للنبي ﷺ جاء فيه قوله: «... من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط... قيراط...».

وقد تكرر هذا السؤال أربع مرات في سياق الحديث، فاستدل ابن مالك بما جاء فيه على مجيء حرف الجر «من» لابتداء الغاية الزمانية، إذ قال: «قلت تضمن هذا الحديث استعمال «من» في ابتداء غاية الزمان أربع مرات، وهو مما خفي على أكثر النحويين فمنعوه تقليداً لسيويه في قوله: «أما «من» فتكون لابتداء الغاية في الأماكن... وأما «مذ» فتكون لابتداء غاية الأيام والأحيان، ولا تدخل واحدة منهما على صاحبها، يعني أن «من» لا تدخل على الأمكنة، ولا «من» على الأزمنة».

وعقب ابن مالك على قول سيويه هذا قائلاً: «فالأول مسلم بإجماع، والثاني ممنوع لمخالفته النقل الصحيح والاستعمال الفصيح»<sup>(٣)</sup>.

وأورد عدداً من الشواهد توثق هذا الاستعمال الفصيح.

وأخذ ابن مالك على النحويين قصرهم حذف الفاء من جواب الشرط على الضرورة، فأورد ثلاثة أحاديث لم يقترن فيها الجواب بالفاء، فاتخذها حجة على أن ذلك ليس مقصوراً على الشعر.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٨٣.

(٢) في التصحيح اللغوي والكلام المباح، ص ١٦٩-١٧٧.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩-١٩١.

والأحاديث هي: قول رسول الله ﷺ لسعد: «إنك إن تركت ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة».

وقوله ﷺ لأبي بن كعب: «فإن جاء صاحبها وإلا استمتع بها» - واستمتع فعل أمر - .

وقوله لهلال بن أمية: «البينة وإلا حد في ظهرك».  
ثم قال ابن مالك: «وهو مما زعم النحويون أنه مخصوص بالضرورة، وليس مخصوصاً بها بل يكثر استعماله في الشعر، ويقال في غيره».  
وقال أيضاً: «ومن خص هذا الحذف بالشعر حاد عن التحقيق، وضيق حيث لا تضيق، بل هو في غير الشعر قليل» وهو فيه كثير<sup>(١)</sup>.

وقد أثبتنا في كتابنا «النحويون والقرآن» أن جواب الشرط جاء في القرآن غير مقترن بالفاء في المواضع التي أوجب النحويون اقترانه بها بما يربو على عشرة مواضع<sup>(٢)</sup> منها قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۗ (١) لَيْسَ لِقَوْمِهَا كَذِبٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.  
وقال ابن مالك: «فلو قيل في الكلام إن استعنت أنت معان لم أمنعه، إلا أنه لم أجده مستعملاً والمبتدأ مذكور إلا في شعر»<sup>(٦)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٢-١٩٣

(٢) النحويون والقرآن، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(٣) البقرة/ ١٨٠.

(٤) الواقعة/ ١، ٢.

(٥) يونس/ ٥٠.

(٦) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٣.

وقد فات ابن مالك أن نظير هذا وارد في القرآن، في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا دَلِيقًا فَذَرَعْنَا لَعَنَةً﴾ (١).

وقد جاء جواب الشرط غير مقترن بالفاء في جملة أسمية والمبتدأ مذكور، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٢).

فقد دخلت «إن» على ما أصله مبتدأ، ولم يقترن الجواب بالفاء والجملة أسمية، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣).

والشاهد المذكور في كتب النحو لعدم اقتران جواب الشرط بالفاء إذا كان جملة أسمية قول حسان بن ثابت:

من يفعل الحسنات الله يشكرها      والشر بالشر عند الله مثلان<sup>(٤)</sup>

ولا شاهد على ذلك من القرآن، ولا من الحديث.

وأخذ ابن مالك على النحويين إلزامهم اقتران الفاء في جواب «أما» وجوباً، ولم يميزوا حذفها إلا في ضرورة الشعر، فأورد أربعة أحاديث لم ترد فيها الفاء في جواب «أما» وهي:

قول رسول الله ﷺ: «أما بعد: ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله»<sup>(٥)</sup>.

وقوله ﷺ: «أما موسى كآني أنظر إليه إذا انحدر في البوادي».

(١) سورة ق/ ٢.

(٢) الأنعام/ ١٢١.

(٣) يس/ ٤٥.

(٤) الكتاب: ٣/ ٦٥، المقتضب: ٢/ ١٧٢، الخصائص: ٢/ ٢٨، ابن يعيش: ٣/ ١١٨.

(٥) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٥.

وقول عائشة رضي الله عنها: «وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة طافوا طوافاً واحداً».

وقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «أما رسول الله لم يول يومئذ». وقال ابن مالك معقياً على هذه الأحاديث: «وحق المتصل بالمتصل بها أن تصحبه الفاء، نحو «فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق»، ولا تحذف الفاء غالباً إلا في شعر، أو مع قول أغنى عنه مقوله، نحو «فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم» أي: فيقال لهم: أكفرتم، ومن حذفها في الشعر قول الشاعر:

**فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب**

وختم ذلك قائلاً: «وقد خولفت القاعدة في هذه الأحاديث، فعلم بالتحقيق عدم التضييق، وأن من خصه بالشعر، أو بالصورة المعينة من النثر مقصر في فتواه، وعاجز عن نصرة دعواه»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد جواب أما في القرآن في خمسة وخمسين موضعاً مقترناً بالفاء<sup>(٢)</sup>. وينبغي ألا ينظر إلى هذه المسألة على أن ابن مالك يقر ما جاء مخالفاً لما ورد في القرآن في خمسة وخمسين موضعاً، وإنما ينظر إليها من جهة ما يكتنه ابن مالك للحديث الشريف من الاعتبار، فهو عنده «كلام أفصح الفصحاء» «وأفصح الكلام المنثور»، و«أحسن ما يستدل له».

وبمقتضى هذه المنزلة لا يمكن إغفال ما يرد في الحديث وتجاهله، فنحن نجد في القرآن ما لا نجد في غيره، ونجد في شواهد الشعر ما لا نجد في غيرها.

وقد عبر ابن مالك عن ذلك في كلامه على اقتران خبر «كاد» بـ«أن» إذ قال: «ولا يمنع عدم وقوعه في القرآن مقروناً بـ(أن) من استعماله قياساً، إذا لم يرد به سماع»<sup>(٣)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٦.

(٢) معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، ص ٨٨-٨٩.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٦٠.

فليس شرطاً القياس على كل ما يرد في الحديث والتزامه، وإنما الشرط معرفة أن ذلك وارد في الحديث الشريف، وأنه من الصحيح الفصيح الذي تلزم معرفته، هذا ما يراه ابن مالك - رحمه الله -.

واستدرك على النحويين استعمال الفعل «رجع» بمعنى «صار»، مستدلاً بقول النبي ﷺ: «ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

إذ قال: «قلت: مما خفي على أكثر النحويين استعمال «رجع» كـ«صار» معنى وعملاً، ومنه قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً» أي لا تصيروا، ومنه قول الشاعر:

قد يرجع المرء بعد المقت ذا      بالحلم فادراً به بغضاء ذي

ونبه ابن مالك على أن العرب تقسم بفعل الشهادة، وأن ذلك جاء في القرآن، إذ قال: «والعرب تقسم بفعل الشهادة فتجعل له جواباً كجواب القسم الصريح، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾»، ثم قال: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ فسمى ذلك القول يمينا، واستشهد على ذلك من الحديث بقول سعيد بن زيد ﷺ: «أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: «ومن النحويين من يزعم أن هذا الاستعمال مخصوص بالشعر، ويستشهد بقول امرئ القيس:

حلفت لها بالله حلقة فاجر      لناموا، فما إن من حديث ولا

والصحيح جواز استعماله في أفصح الكلام»<sup>(٣)</sup>.

إن ورود القسم بفعل الشهادة في حديثين ربما دل على احتمال وروده في أحاديث ونصوص نثرية أخرى، مما ينفي حمله على الضرورة.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٩٨.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٤.

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢٥.

وابن مالك يتقبل ما يرد في الحديث وإن قل، وينكر على النحويين عدم إجارته في النشر، يستشف ذلك من إيراده قول النبي ﷺ: «ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني». إذ قال: «وفي ليرد عليّ أقوام شاهد على وقوع المضارع المثبت المستقبل جواب قسم غير مؤكد بالنون، وفيه غرابة، وهو مما زعم أكثر النحويين أنه لا يجوز إلا في الشعر، كقول الشاعر:

لعمري ليجزي الفاعلون      فأياك أن تُعنى بغير جميل

ثم قال: «والصحيح أنه كثير في الشعر قليل في النشر»<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية للحديث تشتمل على خطأ، وهو «أعرفهم ويعرفوني» إذ الصحيح «يعرفوني»، ولهذا الحديث رواية أخرى جارية على أحكام اللغة «ليردن... ويعرفوني»<sup>(٢)</sup>.

ولا ريب أن تقبل ابن مالك هذه الرواية بهذه الصورة، واتخاذها حجة لما أقره إنما يظهر مدى ما يتسم به موقفه مما يراه في الحديث، وهو الموقف السيد القويم، فما ثبت أنه من كلام النبي ﷺ، فالأمثل أن يؤخذ بما صح منه وكان له وجه يسبغه، ولا يؤبه بالخطأ فهو ليس منه.

وبه ابن مالك على ما وقع فيه بعض النحويين من الوهم بأن اللام في جواب «لو» لازمة، فرد ذلك مستدلاً بالحديث «الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك». إذ قال: «قلت يظن بعض النحويين أن لام جواب في نحو «لو فعلت لفعلت لازمة، والصحيح جواز حذفها في أفصح الكلام المنشور كقوله تعالى: ﴿لَوْ سِئَلْتِ أَهْلَكْنَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ وكقوله: ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَهُ﴾ ، ومنه قول رجل لرسول الله ﷺ: «... وأظن لو تكلمت تصدقت»<sup>(٣)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٢١ .

(٢) صحيح البخاري: ٥٩/٩ في نسخة منه «هامش المحقق».

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٣٤ .

وتعرض لهذه المسألة في موضع آخر من كتابه، في سياق كلامه على حديث آخر، وهو قول حذيفة: «ولو مت مت على الفطرة»<sup>(١)</sup>.

فقال مستطرداً: «فيه أيضاً شاهد على إخلاء جواب «لو» المثبت من اللام، وهو مما يخفى على أكثر الناس، مع أنه في مواضع من كتاب الله تعالى، نحو ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكَهُمْ مِّن قَبْلِ وَائِي﴾، و﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاَهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ و﴿أَنطِعُم مِّن لَّوْ نَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي القرآن شاهدان آخران على مجيء جواب لو المثبت غير مقترن باللام وهما قوله تعالى: ﴿لَوْ تَرَكُوا مِّن خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

الذي جاء بعد قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وعجيب أن يخفى ذلك على أكثر الناس كما قال ابن مالك، وقد جاء جواب لو مقترناً باللام وغير مقترن بها في موضع واحد من كتاب الله في آيتين متابعتين فضلاً عن وروده في الآيات الأخر.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٦٦ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ٢٦٩ .

(٣) النساء/ ٩ .

(٤) الواقعة/ ٧٠ .

(٥) الواقعة/ ٦٥ .

## استشهاد أبي حيان والسيوطي بالحديث الشريف

على الرغم من نعي أبي حيان الشديد على ابن مالك وإنكاره لما أقدم عليه من التوسع في الاستشهاد بالحديث الى حد التلميح بقصور ذكائه عن إدراك ما أدركه أسلافه حين أحجموا عن التوسع في الاستشهاد به، فإننا نجد يستشهد بالحديث الشريف في كتابيه «البحر المحيط» و «ارتشاف الضرب»، ولا يبعد أن يكون قد استشهد به في كتبه الأخرى التي لم يتيسر لنا الوقوف عليها.

ولم يذكر أبو حيان أن ما استشهد به من الحديث ليس هو من الغالب المروي بالمعنى بالفاظ الأعاجم والمولدين.

وإذا لم يكن ما استشهد به مروياً بالفاظهم فإنه لم يفصح عن السبيل الذي انتهجه في استخلاص شواهد منه من بين الغالب من الحديث المروي بالفاظ الأعاجم والمولدين.

وليس لدينا في تراثنا كتب اختصت برواية الحديث باللفظ، وكتب أخرى استباححت روايته بالمعنى دون اللفظ الذي نطق به رسول الله ﷺ.

وما استشهد به أبو حيان من الحديث هو مما استشهد به غيره من النحويين، ومنه أحاديث استشهد بها ابن مالك في كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح» الذي توسع فيه في الاستشهاد بالحديث.

مما يظهر أن نعيه الشديد على ابن مالك لتوسعه في الاستشهاد بالحديث لم تكن النية فيه خالصة لوجه الحق ووجه العلم.

وقد شايح السيوطي أبا حيان فيما أخذه على ابن مالك وردد ما قاله لتسفيه صنيعه، وهو القائل: «وقد بينت في كتاب أصول النحو من كلام ابن الضائع وأبي



حيان انه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية؛ لأنه مروى بالمعنى، لا بلفظ الرسول ﷺ، والأحاديث رواها العجم والمولدون»<sup>(١)</sup>.

ويؤخذ من كلام السيوطي هذا أن الأحاديث مروية بالمعنى بلا استثناء، وبألفاظ العجم والمولدين بلا استثناء أيضاً، وإننا لا نملك شيئاً من الحديث بلفظ النبي ﷺ.

السيوطي بهذا الموقف من الحديث يؤلف كتاباً في مجلدين في إعراب الحديث، سمّاه «عقود الزمرجد على مسند الإمام احمد» نهج فيه نهج أبي البقاء العكبري وابن مالك في توجيه المشكل وغير المشكل من الأحاديث توجيهها نحويًا ولغويًا.

وذكر السيوطي أنه اثبت في كتابه جميع ما قاله أبو البقاء في كتابه «إعراب الحديث النبوي»، وما قاله غيره من شراح الحديث الذين كانوا يعمدون الى إعراب ما يتمثل في الحديث من الأحكام النحوية حينما يقتضيهـم بيان المعنى الوقوف على ذلك، إذ قال «وقد أوردت جميع كلام أبي البقاء معزوا إليه لتعرف قدر ما رددته عليه، وتتبع ما ذكره أئمة النحو في كتبهم المبسوطة من الاعارِب، فأوردتها بنصها معزوة الى قائلها؛ لأن بركة العلم عز والأقوال الى قائلها».

وهو لم يردّ عليه بشيء، وإنما اكتفى بإثبات أقواله « بنصها معزوة الى قائلها»، يريد برده عليه ذكره ما رآه غيره في إعرابها.

وضمّن السيوطي كتابه الى ذلك الكثير مما أثبت ابن مالك في توجيه المشكل وغير المشكل من الحديث في كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح» وهو الكتاب الذي أثار حفيظة ابن الضائع وأبي حيان وحفيظته عليه لتوسعه فيه في الاستشهاد بالحديث.

استهل السيوطي كتابه بمقدمة أعاد فيها ذكر ما قاله أبو حيان وما قاله هو بشأن إنكارهما صنيع ابن مالك لتوسعه في الاستشهاد بالحديث. غير أننا إذا تجاوزنا المقدمة فإننا لا نجد في الكتاب كله ذكراً لألفاظ الأعاجم والمولدين، ولا ما يشير الى منعه التوسع في الاستشهاد بالحديث في سياق ما أثبت من توجيه المشكل وما جاء برواية

(١) همع الهوامع : ١٠٥/١.

خطأ من الحديث، بل نجده يثبت ما قاله ابن مالك في التنبيه على صحة الحديث وعلو رتبته في الفصاحة، وما قاله في توجيه الشاذ والضعيف من الروايات. كما اثبت ما قيل من الرد على النحويين لقصور استقراءهم عن إدراك ما هو وارد في اللغة اعتمادا على ما جاء من الحديث.

فقد أورد السيوطي ما قاله ابن مالك في توجيه الحديث «المواقيت هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن».

وفي الحديث عود ضمير المؤنث العاقل على غير العاقل، المواقيت، وبعد أن بيّن ابن مالك ما في الحديث قال «وبالأفصح جاء قوله: «هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن»، ولو جاء بغير الأفصح لكان: هي... ولمن أتى عليها من غير أهلها، وبالأفصح جاء القرآن، اعني قوله تعالى ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقِمُ فَلَا تَقْظِلُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فالحديث الشريف والقران عند ابن مالك في رتبة واحدة، وهي انهما الأفصح. اثبت السيوطي هذا في عقود الزبرجد بنصه ولم يعقب على قول ابن مالك بشيء<sup>(٢)</sup>.

وذكر السيوطي توجيه ابن مالك للحديث «من يقيم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» إذ قال ابن مالك «تضمن هذا الحديث وقوع الشرط مضارعا والجواب ماضيا لفظا لا معنى، والنحويون يستضعفون ذلك، ويراه بعضهم مخصوصا بالضرورة والصحيح الحكم بجوازه مطلقا لثبوتة في كلام أفصح الفصحاء، وكثرة صدوره عن فحول الشعراء»<sup>(٣)</sup>.

(١) شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٣١.

(٢) عقود الزمرجد : ١٥٩ / ١.

(٣) شواهد التوضيح، ص ٦٧.

ولم يعقب بشيء على قوله «لثبوتها في كلام أفصح الفصحاء»<sup>(١)</sup> الذي جاء في توجيهه لما يستضعفه النحويون .

وساق شواهد ابن مالك التسعة الدالة على كثرة وقوع الشرط مضارعاً والجواب ماضياً في اللغة، وإن ختم ذلك بالقول: «قلت رواه البخاري أيضاً بلفظ «من قام ليلة القدر»، فعرف أن ذلك من تصرف الرواة، والأليق بأن ينسب إلى لفظ النبوة ما وافق الفصح»<sup>(٢)</sup>.

والشواهد التسعة التي أوردها ابن مالك، وما احتج به من القرآن لدليل على أنه من الفصح اللائق بكلام النبوة.

وذكر السيوطي الحديث «لو أخذت الخمر غوث أمتك» وقول ابن مالك «يظن بعض النحويين أن لام جوب «لو» في نحو: لو فعلت لفعلت لازمة، والصحيح جواز حذفها في أفصح الكلام المنثور، كقوله تعالى ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ﴾ وكقوله ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ ومنه قول رجل لرسول الله ﷺ «وأظنها لو تكلمت تصدقت» .

ذكر السيوطي هذا بنصه في «عقود الزبرجد» ولم يعقب بشيء<sup>(٣)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فقد أثبت السيوطي في «عقود الزبرجد» ما قيل من الرد على النحويين لإخلاقهم بما هو وارد في الحديث.

جاء في الحديث «إن رسول الله قد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه، فأَيُّهم أشرف وأَيُّهم أخير»<sup>(٤)</sup> .

(١) عقود الزبرجد : ٣٤٥ / ٢ .

(٢) عقود الزبرجد : ٣٤٨ / ١ .

(٣) شواهد التوضيح والتصحيح ، ص ٢٣٤ ، عقود الزبرجد ، ٣٧٩ / ٢ .

(٤) عقود الزبرجد : ١٤٨ / ١ .

وفيه أشر وأخير اسما تفضيل، خلافا لما هو وارد في الاستعمال وفي القرآن. قال تعالى ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>. أورد السيوطي الحديث في «عقود الزبرجد» وقال «رواه البخاري»، ثم قال: «قال الكرمانني: فيه «الأشر والأخير» لغة فصيحة».

وذكر قول النووي في شرحه لصحيح مسلم تعقيا على ورود «أشر» في حديث آخر: «هكذا وقع في الأصول «أشر» بالألف، وهي لغة وان كانت قليلة الاستعمال... ولهذا نظائر مما لا يكون معروفا عند النحويين، وجاريا على قواعدهم، وقد صحت به الأحاديث، فلا ينبغي رده إذا ثبت، بل يقال هذه لغة قليلة الاستعمال، ونحو هذا من العبارات، وسببه أن النحويين لم يحيطوا إحاطة قطعية بجميع كلام العرب، ولهذا يمنع بعضهم ما ينقله غيره عن العرب كما هو معروف».

وأنت تجد أن النووي يعيب على النحويين منعهم ما هو وارد في اللغة لعدم إحاطتهم القطعية بجميع كلام العرب مما هو نظير «أشر وأخير» في الحديث. أثبت السيوطي هذا في «عقود الزبرجد» ولم يعقب عليه بشيء<sup>(٣)</sup>. وذكر السيوطي الحديث «دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم». وفيه جاء الفعل «ودع» بالتخفيف.

وسيويه يرى أنه غير مستعمل في اللغة<sup>(٤)</sup>، ومنهم من قال «أماتوا ماضي يدع»<sup>(٥)</sup>. وأورد السيوطي في عقود الزبرجد، قول المظهري تعقيا على ما جاء في الحديث: «كلام النبي ﷺ متبوع لا تابع، بل فصحاء العرب عن آخرهم بالإضافة إليه بأقل، وأيضا فلغات العرب مختلفة، منهم من انقرضت لغته فأتى بها ﷺ».

(١) المائدة / ٦٠.

(٢) النساء / ٥٩.

(٣) عقود الزبرجد، ٢ / ١٥٠.

(٤) الكتاب، ٤ / ١٠٩.

(٥) تاج العروس، ٢٢ / ٣٠٣.

يريد المظهري أن كلام فصحاء العرب جميعهم دون كلام النبي ﷺ في الرتبة، وأنه يعلم من اللغة ما لا يعلمون، مما لا يتقبلونه.

أثبت السيوطي هذا في «عقود الزبرجد» ولم يعقب عليه بشيء<sup>(١)</sup>.

وإن تعجب فعجب موقف السيوطي من الحديث الشريف في كتبه الثلاثة: همع الهوامع والاقتراح وعقود الزبرجد.

فهو في همع الهوامع والاقتراح ينكر التوسع في الحديث لان ألفاظه في الغالب ألفاظ الرواة الأعاجم والمولدين، وفاقا لما يراه ابن الضائع وأبو حيان، وإنكارا لتوسع ابن مالك في الاستشهاد بالحديث.

وهو في «عقود الزبرجد» يثبت ما قيل من الرد على النحويين لعدم تقبلهم للنادر وغير الفاشي في اللغة مما هو وارد في الحديث.

ويثبت وصف ابن مالك للحديث بأنه «أفصح الكلام» وكلام «أفصح الفصحاء» و «أفصح الكلام المنشور» في سياق توجيهه لما ورد في الحديث الذي توسع في الاستشهاد به.

وفي هذا كله دلالة ظاهرة على أن النحويين قد تعلقوا بأهون حجة وأوهى دليل حين استبعدوا الحديث عن مجال الاستشهاد، ورجحوا شواهدهم الشعرية على الكثير مما هو صحيح منه، والصحيح من الحديث كثير جداً.

(١) عقود الزبرجد، ٢/٤٤٨.

## الغائمة

لم يظهر النحويون الأوائل ميلاً إلى الاستشهاد بالحديث الشريف، وآية ذلك قلة شواهدهم منه بالقياس إلى شواهدهم من الشعر. وعجيب ألا يستثير ذلك استغراباً أو تساؤلاً في المراحل الأولى من التصنيف في النحو، فالحديث الشريف يأتي بعد القرآن في الأهمية الدينية وفي مجال الفصاحة والبيان.

ولم تكن قلة شواهدهم منه بالقدر الذي يمكن أن يخفى على الناظر في هذا العلم. فما الذي جعل النحويين يردفون الشاهد القرآني بالشاهد الشعري دون أن يردفوه بالشاهد من الحديث؟ فهو نثر، وما يستشهد له نثر، وفي الحديث كل ما يتمثل في اللغة من أبواب النحو.

ولا يكاد يرد الشاهد من الحديث في مجال الاستشهاد إلا نادراً، حتى كأن النحويين لا تربطهم بالحديث آية وشيعة، فهو كلام كأي كلام آخر، يطرح أكثره، ويستغني عنه، وليست فيه ميزة ترجحه على غيره من الكلام، وتعليه عليه.

ولولا ما أقدم عليه ابن مالك - رحمه الله - فاستثار النحويين الذين يرون أن الحديث الشريف لا يحسن التوسع في الاستشهاد به لظل الشأن في الحديث مسكوتاً عنه، فليس ثمة ما يستدعي الوقوف على أسباب قلة الميل إليه عندهم.

والتحول من ألفاظ النبي ﷺ إلى ألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين الذي يتراءى للنحويين تقبلوه بصمت، ولم يسترهم بشيء.

ومثل هذا التحول لا يكون إلا إذا كانت ألفاظ الرواة الأعاجم والمولدين بمستوى ما عبر به النبي ﷺ عن معانيه بألفاظه.

وهيهات...

يقول الجاحظ: «... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ».

وقال: «قال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

ولسنا ندري مَنْ مِنَ المسلمين من يجرؤ على أن يضع ألفاظه موضع ألفاظ النبي ﷺ بالعبارة التي تدل عليه دلالة مباشرة، ثم يقول هذا حديث النبي ﷺ، دون أن يرى في ذلك ما يدينه على أي نحو مما حذر منه النبي ﷺ، ثم يكون الكلام الذي حلت ألفاظه محل ألفاظ الحديث في الأصل هو الحديث الذي غدا النحويون حذرين من الاستشهاد به، ويكون الشاهد الشعري عند النحويين، وليس في مضمونه ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم أرجح وأوفق لدى النحويين من الحديث الشريف للاستشهاد به لما هو نثر.

وإذا قيل إن من الأحاديث ما هو مروى باللفظ وما هو مروى بالمعنى فإن هذا ما لا نجد دليلاً ظاهراً عليه من المروى من الحديث في التراث في الكتب الدينية، وكتب الأدب والبلاغة، فضلاً عن كتب التفسير، فكل المروى منه مذكور على أنه قوله ﷺ، منسوباً إليه نسبة مباشرة.

وليس لدينا من كتب الحديث ما اشتمل على المروى باللفظ، وما تضمن المروى بالمعنى، ولا نجد في أي منها إشارات تميز بين هذين المستويين من الحديث.

ومما يلفت النظر في شأن النحويين مع الحديث:

- أنهم جميعاً متيقنون أن النبي ﷺ هو أفصح العرب وأفصح من نطق بالضاد.
- وأنهم جميعاً واثقون ثقة تامة بأن الخطأ في الحديث النبوي إن وجد فإنما هو خطأ الراوي، ولا خطأ في الحديث في الأصل.

(١) البيان والتبيين: ١٧/٢-١٨.

- وهم مع ذلك لا يستشيرهم ولا يستفزههم الكلام المشتمل على الخطأ الظاهر منسوباً في حديث إلى النبي ﷺ، ولا يرون في ذلك غضاضة، فهو مروى بالمعنى.

وإذا كان من هو حقيق باللوم في هذا الشأن فإنما هم النحويون، فهم الذين نبهوا على ذلك، دون أن يعمدوا إلى تنزيه الحديث مما شابهه وشانه من الخطأ.

وما جاء من الحديث بروايتين فإنه لا يخرج عن ثلاثة أمور:

- إما أن تكون الروايتان صحيحتين مع اختلافهما.

- وإما أن تكون إحداهما صحيحة، والأخرى تحتمل وجهاً في اللغة.

- وإما أن تكون إحداهما خطأ.

فإذا كانت كلتا الروايتين صحيحة فالأولى أن تقبل الروايتان، إذ لا سبيل إلى إنكار إحداهما مع صحتها وموافقتها للصحيح الفصيح في اللغة. وليس في اختلاف الروايات للحديث خلة أو ما يهون من شأن الحديث، خلافاً لما يراه ابن الضائع وأبو حبان النحوي والسيوطي، إذ لا يبعد أن يأتي الكلام على وجهين أو أكثر إذ توافقت المناسبات أو اختلفت.

وأما إذا كانت الرواية الأخرى لها وجه يسوؤها، ولها شواهد توثقها فيصار حينئذٍ إلى تقبلها، وعدّها مما هو جائز في اللغة.

أما إذا كانت إحداهما صحيحة والأخرى تشتمل على خطأ ظاهر فالأحق والأمثل أن تعد الصحيحة من الحديث، وأن تستبعد الأخرى منه أو تصحح اعتماداً على الرواية الصحيحة.

ومع هذا كله فإن موقف النحويين من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ينطوي على قدر كبير من الغرابة، فهو:

- أوثق ما يستشهد به بعد القرآن، مما صحت نسبته إلى النبي ﷺ.

- وهو لا يحسن التوسع في الاستشهاد به لأن الغالب من ألفاظه تحول في غفلة من الأمة إلى ألفاظ الرواة من الأعاجم والمولدين.



- والحديث الشريف نثر، إلا أن شواهد الشعر أوفق منه للاستشهاد بها لسائر الكلام.
- وأنهم حين يقفون على المشكل من الحديث وغير المشكل يستشهدون لتوجيه ما تمثل فيه من وجوه الإعراب بالقرآن وبشواهدهم الشعرية.
- ومهما يكن من شأن النحويين مع الحديث فإن لدينا - بلا ريب - من الكلام العالي في مبانيه، السامي في مراميه وما يهدي إليه الكثير الكثير المستهل بالعبارة: قال رسول الله ﷺ.
- وإذا كان هو الأوفق للاستشهاد به لما هو نثر فإن توافقه مع الشواهد الشعرية مع صحته وسلامته من شأنه أن يحمل على تقبل الأحكام في اللغة الموثقة بها دون النظر إلى أثر الضرورة فيها وإلى استدعاء ما يقتضيه النظم لها.

والحمد لله أولاً وآخراً

## المصادر والمراجع

- أبنية الصرف في كتاب سيويه، الدكتورة خديجة الحديثي، بغداد ١٩٦٥ .
- أبو حيان النحوي، الدكتورة خديجة الحديثي، بغداد ١٩٦٦ .
- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، الدكتور احمد مكّي الانصاري، بغداد ١٩٦٤
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، مصر ١٩٥١ .
- إعراب الحديث النبوي، أبو البقاء العكبري، تحقيق عبد الإله نيهان، دمشق ١٩٧٧ .
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق الدكتور زهير زاهد، بغداد ١٩٧٧ .
- الأعراب في جدل الإعراب، أبو البركات الانباري، تحقيق سعيد الافغاني، بيروت ١٩٧١ .
- الأغاني، أبو الفرج الاصفهاني، دار الكتب مصر .
- الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، سوريا - حلب .
- أمالي السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، تحقيق محمد إبراهيم البناء، مصر ١٩٦٩ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الانباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر ١٩٥٣ .
- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، القاهرة ١٩٥٩ .
- البيان في غريب إعراب القرآن، أبو البركات الانباري، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، مصر ١٩٧٠ .
- البيان والتبين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مصر ١٣٨١ .
- تاج العروس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، الكويت .

- تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مصر ١٩٦٨ .
- الجمل، أبو القاسم الزجاجي، باريس .
- حماسة الشجري، ابن الشجري، حيدرآباد ١٩٤٩ .
- الخصائص، أبو الفتح بن جني، تحقيق محمد علي النجار، بيروت .
- ديوان حسان بن ثابت ، ، بيروت .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٧٨ .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق اكرم البستاني ، ، بيروت .
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، مصر .
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح بن جني، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، مصر ١٩٥٤ .
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر ١٩٥٤ .
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان السجستاني، مصر ١٩٥٢ .
- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصيف، القاهرة ١٩٥٣ .
- سيبويه حياته وكتابه، الدكتورة خديجة الحديثي، بغداد ١٩٧٤ .
- شرح ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، تحقيق محمد عحي الدين عبد الحميد، مصر .
- شرح شذور الذهب، ابن هشام، تحقيق عبد الغني الدقر، دمشق .
- شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ، تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد ١٩٧٧ .
- شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الاسترابادي، مصر ١٢٧٥ .
- شرح المفصل، ابن يعيش، مصر .
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، مصر ١٩٦٦ .
- شواهد التوضيح والتصحيح، ابن مالك، تحقيق الدكتور طه محسن ، ١٩٨٥ .

- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن الحسن، مصر .
- صحيح الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، مصر.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، بيروت ١٩٧٨.
- طبقات ابن سعد، محمد بن سعد الزهري .
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر، مصر ١٩٥٧ .
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق احمد أمين وآخرين، مصر .
- عقود الزبرجد على مسند الإمام احمد، تحقيق احمد عبد الفتاح تمام وسمير حسين حلي، ١٩٨٧ .
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، مصر ١٣٤٣ .
- الفائق في غريب الحديث، الزنجشيري، بيروت ٢٠٠٥ .
- فهرسة ما رواه عن شيوخته، ابن خير الاشيلي، بيروت ١٩٧٩ .
- في التصحيح اللغوي والكلام المباح، الدكتور خليل بنيان الحسون، عمان ٢٠٠٦ .
- الكامل في الأدب، أبو العباس المبرد، مصر ١٩٢٧ .
- الكتاب، سيويه، تحقيق عبد السلام هارون .
- لسان العرب، ابن منظور، مصر ١٩٦١ .
- المؤلف والمختلف، الأمدي، تحقيق عبد الستار احمد فراج، مصر .
- مجالس ثعلب، أبو العباس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٢ .
- المحتسب، أبو الفتح بن جني، تحقيق النجدي والنجار وشلي، القاهرة ١٩٦٦ مصر.
- المدارس النحوية، الدكتور شوقي ضيف، مصر ١٩٧٢ .
- المستطرف في كل فن مستظرف، الابشيهي، تحقيق محمد مهنا، مصر .
- مسند ابن حنبل، احمد بن حنبل، ١٩٧٨ .

- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تحقيق احمد نجاتي ومحمد النجار، مصر ١٩٧٤ .
- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، الدكتور إسماعيل احمد عمايره والدكتور عبد الحميد مصطفى السيد، بيروت ١٩٩٨ .
- معجم شواهد العربية، عبد السلام هارون، ١٩٧٢ مصر .
- المفضليات، المفضل الضبي، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، مصر ١٩٦٤ .
- المقتضب، أبو العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمه، مصر ١٣٨٨ .
- المقرب، ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبوري، بغداد ١٩٧٢
- ملحة الإعراب، الحريري، تحقيق الدكتور فائز فارس ، ١٩٩١ .
- الموطأ، للإمام مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر .
- موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث، الدكتورة خديجة الحديثي، بغداد ١٩٨١ .
- النحويون والقرآن ، الدكتور خليل بنان الحسون ، عمان ، ٢٠٠٢ .
- نوادر أبي زيد، أبو زيد سعيد بن اوس، تحقيق سعيد الخوري، بيروت .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ١٩٦٣ .
- همع الهوامع، السيوطي، تحقيق محمد بدر الدين النعساني، بيروت .



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com





**دار جرير**  
للنشر والتوزيع



[www.darjareer.com](http://www.darjareer.com)





[www.darjareer.com](http://www.darjareer.com)

# النحويون والحديث الشريف



دار الجرين، عمان 5668787

دار جرين  
للنشر والتوزيع



عمّان - شارع الملك حسين - مقابل مجمع الفحيص  
هاتف : +96264651650 - فاكس : +96264643105  
ص.ب : 367 عمان 11118 الأردن  
E-mail: dar\_jareer@hotmail.com